جامعة العلوم الإسلامية العالمية
اللغة العربية وآدابها

الشخصية الشعبية في الرواية الأردنية

إعداد

كريم علي الشوابكة

إشراف

الدكتور عيسى قويدر العبادي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

حقل التخصص

الدراسات الأدبية والنقدية

العام الدراسي
2011/2010

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الدراسة (الشخصية الشعبية في الرواية الأردنية) ، وأجيزت بتاريخ: 6/1 /2011م.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
د.عيسى قويدر العبادي **(مشرفاً ورئيسا)**	....
د.محمد أحمد قضاة **(عضواً)**	....
د.موفق رياض مقدادي **(عضواً)**	....

الإهداء

إلى من خطت بدعائها سطور رسالتي

أمي

إلى سند العمر وقرة العين

إخوتي وأخواتي

إلى أعز وأغلى الناس إلى قلبي

سميحة

إلى من كان دائماً معي في عقلي وقلبي ووجداني

موفق

إلى من شاركتني أفراح هذه الرسالة وأتعابها

زوجتي

شكر و تقدير

الحمد لله حمداً كثيراً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، الذي وفقني في إنجاز هذه الدراسة وإخراجها بهذه الصورة.

وبعد شكر الله فإنني أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور المشرف عيسى العبادي الذي كان له الفضل الأكبر في الاعتناء بهذه الدراسة، كما يسعدني أن أتقدم بالشكر لعضوي لجنة المناقشة لتكرمهما بالموافقة على مناقشة هذه الدراسة وإغنائها بالآراء السديدة، كما ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتورة نوال الشوابكة والأخ مهند الشوابكة لتشجيعهما ومساندتهما لي.

والله ولي التوفيق

المحتويـــــات

ملخص الدراسة

(الشخصية الشعبية في الرواية الأردنية)

إعداد

كريم علي الشوابكة

إشراف

الدكتور عيسى العبادي

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في تحليل الشخصيات الشعبية ودراستها اجتماعياً، حيث إن الرواية الأردنية عكست كل وجوه الحياة الاجتماعية، ولتحقيق أهداف الدراسة تناولت نتاجاً روائياً متنوعاً في الأسلوب والموضوعات، وقد التفتت الدراسة إلى النماذج البشرية التي تمثلها الشخصيات الروائية والتي تشكل صورة عن الواقع الاجتماعي.

ونستطيع من خلال فصول الدراسة التعرف إلى طبائع الشخصيات وهمومها وتفاعلها في المجتمع الذي تعيش فيه، وتحقيقاً لأهداف الدراسة فقد جاءت في خمسة فصول، وتمهيد وخاتمة، واتبعت بقائمة المصادر والمراجع، ووقف التمهيد على التأطير التاريخي لمسيرة الرواية الأردنية منذ عام 1967م متمثلاً ما كتبه النقاد الأردنيون عن تاريخ الرواية الأردنية والاجتهاد في بلورة الصورة الحقيقية لأهم مؤثرات تطور الرواية على الصعيد الفني والموضوعي ، ثم تناول الفصل الأول الذي عنوانه (الشخصية الشعبية وحدودها الثقافية) الكشف عن مفهوم الشخصية الشعبية وروافدها الثقافية ،أما الفصل الثاني فعنوانه (شخصية ابن المخيم) وتضمن دراسة عن تاريخ المخيمات الفلسطينية، ورصد تفاعلات الشخصية داخل

واقعها الذي تحيا به ، ثم جاء الفصل الثالث الذي عنوانه (شخصية الغجري) ودرس العادات والتقاليد عند الغجر ونظرة الناس لهم وطرق عيشهم ، أما الفصل الرابع، فعنوانه (شخصية الراعي) وفيه درس الباحث رواية آشطيو وحلل شخصية بطلها، أما الفصل الخامس فعنوانه (شخصية الفلاح) وفيه تحليل الشخصيات اجتماعياً ونفسياً من خلال النص الروائي، وفـــي الخاتمة تم رصد أهم النتائج .

ولله الحمد من قبل ومن بعد

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على الهادي المختار خير البريّة والنور المهدي إلى الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعه باحسان، وبعد:

إن ميدان البحث في الرواية الأردنية ما زال خصبا وبحاجة إلى من يخوض غماره ويتولى دراسة أبعاده، ومن هنا كان موضوع البحث الذي يتناول بالدراسة والتحليل واقع الشخصية في الرواية الأردنية وتتبع صورها بكل ما تثيره من أسئلة وقضايا واشكالات، وقد حظيت الشخصية الروائية باهتمام الكثير من الكُتّاب والأدباء على اختلاف اتجاهاتهم وتعدد اهتماماتهم وشغلت حيزاً بارزاً في نتاجهم الأدبي، فتباينت دراساتهم وتنوعت من زوايا عدة.

ونظرت هذه الدراسة إلى الشخصية الشعبية بوصفها موضوعا روائيا في ضوء الواقع الروائي الذي تتحرك فيه هذه الشخصيات، وهو واقع مشابه للواقع الخارجي وإن لم يكن مطابقا له.

وتناوُل الموضوع نابع من اقتراح طرحه الدكتور عيسى العبادي، وبعد التأمل وجد أن الموضوع له أهمية كبيرة تكمن في أنه لم يطرح بجزئياته ولم يتناول بدراسة مستقلة من قبل ولم يحظ بعناية خاصة من قبل الباحثين والدارسين فنحن نجد دراسات تعتني بالشخصية من الناحية الفنية، إلا إننا لا نجد دراسة تعتني بالشرائح الاجتماعية التي يتكون منها النسيج الأردني من مثل شخصية ابن المخيم، والغجري (النوري)،والفلاح ،والراعي.

كما لهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في دراستها لروايتين لم تدرسا من قبل وهما: رواية (ذيب الصالح) لموسى الأزرعي، ورواية (الوشاح الأحمر) لعلي الدلاهمة.

وهناك عدد من الدراسات التي يمكن أن نعدها من الدراسات الموازية لموضوع البحث وهي:

- (الرواية في الأردن) لإبراهيم السعافين، فقد عرضت هذه الدراسة لتاريخ الرواية الأردنية ،وتعلقها بالتاريخ والتطور الاجتماعي والسياسي الذي حل بالمنطقة، وناقشت عدداً من الروايات الأردنية في مجال الشخصية الشعبية، إلا أنها لم تفصل القول في ذلك.
- (مضامين الرواية الأردنية) لعيسى العبادي، ناقشت هذه الدراسة عدداً من القضايا الموضوعية المطروحة في الرواية الأردنية، وتناولت الشخصية في فصل (الريف في الرواية الأردنية) إلا أن هذا الفصل لم يشمل جميع أنماط الشخصية المتبقية.
- (الرواية في الأردن) لخالد الكركي حيث عرضت هذه الدراسة تاريخ الرواية الأردنية منذ العشرينيات حتى منتصف الثمانينيات، وعرضت كذلك المضامين التي اشتملتها روايات تلك المرحلة.

أما منهج هذه الدراسة فقد نبع من طبيعة البحث، حيث أعتمد على المنهج التكاملي، فالدراسة معنية بالكشف عن تطور الرواية الأردنية بعد نكسة حزيران، والمنهج التاريخي ضرورة لا غنى عنه عند تتبع هذا الجانب، أما المنهج التحليلي الوصفي فقد استخدم لرصد المفاهيم المتعلقة بالشخصية الشعبية والحدود الثقافية لها، وكذلك في تحليل الروايات التي تقوم عليها هذه الدراسة، في حين أن المنهج الاجتماعي استخدم في تحليل الشخصية الشعبية في ضوء الواقع الروائي الذي تتحرك فيه .

اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة أُتبعت بقائمة المصادر والمراجع، يقف التمهيد على التأطير التاريخي للرواية الأردنية بعد نكسة حزيران، أما الفصل الأول فجاء بعنوان (الشخصية الشعبية وحدودها الثقافية) حيث تناول تعريف

الشخصية الشعبية والروافد الثقافية وكانت كلٌ من روايتي (ذيب الصالح لموسى الأزرعي) و(القرمية لسميحة خريس) نموذجا لها.

وجاء الفصل الثاني بعنوان (شخصية ابن المخيم) كما سنرى في رواية (الكنزة الخضراء لمحمد عبدالله القواسمة)، ورواية (وقت لجمال ناجي) وقد تناول الفصل تاريخ المخيمات الفلسطينية، ورصد تفاعلات القضية الفلسطينية بالرواية الأردنية، راصدا طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بالمخيم الأردني.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان (شخصية الغجريّ) حيث تناول الباحث في هذا الفصل رواية (مخلفات الزوابع الأخيرة لجمال ناجي)، ورواية (الوشاح الأحمر لعلي الدلاهمة) ورصد فيه العادات والتقاليد عند الغجر، ونظرة الناس لهم، وطرق عيشهم.

وتناول الفصل الرابع (شخصية الفلاح) في العديد من الروايات أهمها رواية (العودة من الشمال لفؤاد قسوس)، ورواية (أيام القرية لماجد ذيب غنما) حيث رُصدت عادات الفلاحين ورد فعلهم تجاه العديد من القضايا، أهمها انحباس المطر، والتمييز بين الجنسين، والتعليم.

وفي الفصل الخامس عالجت الدراسة (شخصية الراعي) من خلال رواية (آشطيو لهاني أبو نعيم)، وقامت بتحليل شخصيته اجتماعيا ونفسيا من خلال النص الروائي.

وفي الخاتمة تم رصد أهم نتائج الدراسة.

لقد حاول الباحث الاجتهاد في بلورة الشخصية الشعبية التي عرضها الروائيون فإن كان فيها فضل فلّله أولاً، ثم لأستاذي الدكتور عيسى العبادي، وإن كان فيها تقصير فلعجــزي عن تحقيق الكثير مما أرشدني إليه، وعذري أني اجتهدت، وحسب المرء أنه لا يزال يطلــب العلم، وما توفيقي إلا بالله.

التمهيد

احتلت الرواية مكانة مرموقة ضمن الأشكال الأدبية عالمياً وعربياً، بما تقدمه من رسم لمجمل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية فأعطت كلّاً منهم بعده المناسب، وتطرقت لتحليل جوانب لم تتطرق لتحليلها الوثائق التاريخية فاستحق أن يطلق على هذا العصر " ديوان العرب "[1] ؛ كونها من ألصق الفنون بحياة الأفراد والأمم.

والرواية الأردنية لها تاريخ طويل فمنذ بداية العشرينات حتى النصف الأول من الستينات كانت غير قادرة على امتلاك المقومات الحقيقية للعمل الروائي، وتشير الدراسات أن هذه المرحلة تبلورت من خلالها معالم الرواية الأردنية الحديثة، لتشكل بعد ذلك العمل الروائي الواقعي الذي يستند إلى الأسس العملية لفن الرواية .

وقد تأثرت الرواية الأردنية بحرب حزيران 1967م، التي كشفت الأبعاد الفكرية والسياسية والطبقية المتعددة، وتعد الرواية من أفضل الأشكال الأدبية في معالجة القضايا المعقدة التي فجرتها هزيمة حزيران؛ نظرا لشموليتها واتساعها وجنباتها الفسيحة ورحب صدرها[2]،بل أن فن الرواية سيحل محل الفنون الأدبية جميعا كما تنبأ البيريس حين قال " إن الرواية لتقوم بدور الكاهن المعرف، والمشرف السياسي، وخادمة الأطفال، وصحفي الوقائع اليومية والرائد، ومعلم الفلسفة السرية، وهي تقوم بهذه الأدوار كلها في فن عالمي يهدف إلى أن يحل محل الفنون الأدبية جميعا ويمكن أن يكون في أيامنا شكلاً معمما للثقافة "[3].

---

[1] إبراهيم وآخرون، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية ((أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول1992/8/22))،مجموعة من الكتاب، منشورات وزارة الثقافة ، دار أزمنة، عمان ،ص157.

[2] ينظر، ماضي، شكري ، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، 1978، ص28.

[3] البيريس : تاريخ الرواية الحديثة ، ت: جورج سالم -عويدات- بيروت ،ط1، 1967م،ص6

فقد شكلت حرب حزيران منطلقاً حقيقياً لولادة الرواية الأردنية شـكلاً ومـضموناً[1]، حيث أعلنت الرواية الأردنية في عام 1968م تمرداً نوعياً في الشكل والإيقـاع والمـضمون والمعالجة، مما جعلها تقف باعتداد محترم إلى جانب زميلاتها من الروايـات العربيـة فـي سنوات لاحقة[2].

كوّنّ الحدث المصيري الذي مرت به فلسطين أثارا واضحة لا يمكـن تجاهلهـا علـى الحركة الروائية الأردنية؛ فكانت هزيمة حزيران من أقوى العوامل التي أدت إلى كسر الطوق الذي حصر الحركة الروائية الأردنية، فأقامت الرواية الأردنية لنفسها الأرضية الصلبة التـي انطلقت منها[3]، فشكلت ما عرف باسم (مرحلة الزلزلة)[4]، وهي المرحلة التي أجمع عليهـا الأدباء والنقاد بأنها البداية الحقيقية والجنينية الأولى لنشوء فن الرواية عند الأردنيـين حيـث صدرت فيها ثلاث روايات: (أنت منذ اليوم، تيسير سبول / الكابوس، أمـين شـنار / أوراق عاقر، سالم النحاس). وقد أجمع الدارسون على أن هذه الروايات فتحاً جديـدا فـي عـالم الرواية الأردنية، ونقطة الارتكاز الهامة في تاريخ الرواية الحداثوية، وإعلانا عن تحطم بنية الرواية التقليدية في الأردن[5]، وهي روايات نقدية جاءت لتُقدِّم أسباب الهزيمـة وفـق رؤى أصحابها والحلول التي يرونها مناسبة للخروج من مأزق النكسة وغلب عليها الروح التشاؤميَّة

---

[1] ينظر، الكركي، خالد ، الرواية في الأردن ،نشر بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، ط1، 1986، 63-70 ، وينظر كذلك السعافين ، إبراهيم وآخرون، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، ص147.

[2] الأزرعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، توزيـع دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط1، 1997، ص5.

[3] ينظر، السعافين، إبراهيم ، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، وينظر عبد الله ابراهيم ، بناء السرد في الرواية الأردنية المعاصرة، م أفكار، ع (135)،1999: 33 .

[4] ينظر، ماضي، شكري، ملتقى الرواية في الأردن، ورقة عبد الرحمن ياغي، عنوان الورقة: (رؤية نقديـة للرواية الأردنية)، منشورات جامعة آل البيت 2001م، ص9.

[5] اسماعيل، غسان ، الزمان المكان، النص ((اتجاهات الرواية العربيـة المعاصـرة فـي الأردن))، دار الينابيع، عمان د.ط،1993.

الناقمة على مسببات الهزيمة،ونما فيها النقد الذاتي المفرط كقصاص نفسي يتخذ من جلد الذات تعلّةً للتخفيف من وطأة المسؤولية عما جرى، وتميزت هذه الروايات بخروجها من إسار رواية الخمسينيات الكلاسيكية[1]؛ إلا أنها امتازت بالغموض؛ إذ لم تتبلور فيها الأبعاد الروائية ولم تنضج بما يكفي لتمتلك شروط ومقومات فن الرواية، إضافة إلى أنها لم تستطع فهم واقعها، فالرواية في هذه المرحلة كانت سطحية ساذجة[2].

وتابعت الرواية الأردنية قبل الهزيمة وبعدها نبض الشارع الأردني في مختلف ايقاعاتة الوطنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما وعاشت الأحداث الكبرى في مختلف بقاع العالم العربي في: لبنان وسوريا ومصر، حيث ترددت فيها أصداء العدوان الثلاثي، وحرب تشرين، والحرب الأهلية اللبنانية، وحرب الخليج وغيرها مما يؤكد ارتباط الإنسان الأردني بأمته العربية. وظلت القضية الفلسطينية تتربع كل الأعمال الإبداعية، فمهما ابتعدت موضوعاتها الرئيسية فلم تنشغل الرواية الأردنية بقضية قومية كما انشغلت بالقضية الفلسطينية؛ فرسمت صور التشرد والمعاناة والصمود والمقاومة[3].

وفي عقد السبعينيات كانت الرواية هي الوسيلة الأدبية الفنية التي يستطيع من خلالها الروائيون تقديم عروضهم السياسية والفكرية والاجتماعية؛ إذ أن السبعينيات من أخطر العقود سياسيا وثقافيا مما زاد من تصاعد الوعي النضالي فانعكس ذلك على الرواية[4].

---

[1] الأزرعي ، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية، من اصدارات اللجنة الوطنية العليا لاعلان عمان عاصمة للثقافة العربية لعام 2002، ط1 ، ص176، ينظر، الأزرعي ، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن ، ص5.

[2] http://www.awa-dam.org/alesbouh%20802/826/isb826-isb826-024.htm.

[3] ينظر، الأزرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية ،ص27- 38

[4] ينظر،التطور الثقافي في الأردن وفلسطين، الناشر جامعة الزرقاء الأهلية، تحرير عوده أبو عوده،المؤتمر الرابع، مسار التحول في رواية السبعينيات، غالب هلسا أنموذجا ، ص 253.

عادت الأعمال الروائية الكلاسيكية في النصف الأول من السبعينيات إلى الظهور من صيف حيث صدر في هذه المرحلة أعمال ملفته أمثال: (العودة إلى الشمال : فؤاد قسوس)، (المتميز: محمد عيد)، جديد ويعود ذلك إلى مناخ اليأس الذي خلّفته الأحداث الداخلية عـــام 1970[1]، إلا أن النصف الثاني من السبعينيات شهد نتاجا روائيا خصبا مما يؤكـــد أن حالـــة الفتور التي كانت سائده سحابة صيف ،ومما يؤكد تطور الكتابة الروائية وارتيادها آفاقا جديدة علو الصوت النسائي الذي ترك بصمة واضحة في ميدان الرواية الأردنية، ولا سيما في نهاية السبعينيات فقد أخذت الرواية التي تكتبها المرأة تحقق حضوراً كبيراً ممّا يـــدل علـــى تقـــدم المجتمع الأردني في هذه الفترة، فنلاحظ غزارة إنتاج جوليا الصوالحة حيث قدمت لنا في هذه الفترة ثلاث روايات: (سلوى 1976م)، (النشمي 1976م)، (هل ترجعين 1979م) قدمت لنا كذلك لينا بدر رواية (بوصلة من أجل عباد الشمس 1979م)[2].

ولم يكن الصراع الإسرائيلي في هذه الفترة هو العامل الوحيـــد فـــي إبـــداع الروايـــة الأردنية وتطورها؛ إذ ثمة عوامل أخرى لها علاقة بالوطن ومنها: ما له علاقة برؤية القاص الفكرية للوطن، وما له علاقة بالاغتراب عن الأردن والحنين إليه، وما هو اجتماعي، أبرزها أعمال (غالب هلسا) الذي أفرد لقضايا الحرية الاجتماعية ومحورها الأساسي المرأة.

ومع بزوغ فجر الثمانينيات سرعان ما تدافعت الأعمال الروائية، فشهدت هذه الفترة نتاجاً روائياً لا مثيل له في تاريخ الرواية الأردنية، فقد صدر في هذه الفتـــرة حـــوالي 46 روايـــة

---

[1] الأزرعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص6/5 ، وينظر، الأزرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية، ص177.

[2] الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، ورقة د. شاكر النابلسي ((كيف عبـــرت الروايـــة الأردنية عن الواقع المحلي والعربي))، ص151/ فخري صالح، رواية التسعينات في الأردن، م أفكار، عـــدد 150، 2001 ،ص106.

تقريباً، مما يؤكد أننا " أمام نهوض روائي متميز في الكم والنـــوع "[1]، ونـــذكر مـــن هـــذه الروايات على سبيل التمثيل لا الحصر:

(ثم وحك تموت) لمؤيد العتيلي1981م، (الطريق إلى بلحـــارث)1982م و (وقـــت) 1984م لجمال ناجي، (ثلاث وجوه لبغداد) لغالب هلسا 1984م.

و تشير الأعمال الروائية في عقد الثمانينيات ومما لا يقبل الشك أنّ الرواية الأردنيـــة حاولت التخلص من التقليدية والرومانسية الطيبة ، فأصبح الروائي الأردني لا يقبل على إبداع روايته إلا بعد أن يمتلئ ثقة برؤيته الفنية وتجربته المتفردة بصياغة الأحداث؛ وذلك ليحقـــق عملاً لا يشكل تكراراً لما سبق من الأعمال[2].

وتعد فترة الثمانينيات من أهم فترات الرواية العربية فـــي الأردن إلـــى الآن نتيجـــة لميلاد روائيين جدد مثل: مؤنس الرزاز، وجمال ناجي، وقاسم توفيق، وإبـــراهيم نـــصر الله، ومن صفات الفن الروائي البارز في هذه الفترة أنه كان فناً تجريبياً فترى الروائيين في هـــذه المرحلة يلجأون للرمز الرفيع في تصوير الواقع كما نقرأ فـــي روايـــات "باســـم ســـكجها ". ويلجأون كذلك إلى التركيب الروائي الواقعي الحلمي كما نرى في روايات "غالـــب هلـــسا "، و"مؤنس الرزاز"، و" إبراهيم نصر الله". كما حاول الروائيون التجديد فـــي اللغـــة الروائيـــة،

---

[1] ينظر، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، ورقة د. نزيه نضال ((رواية الثمانينات بـــين الواقعية والحداثة))، ص 71.

[2] ينظر، السعافين، إبراهيم، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، ص100 ، ينظر، عبـــد الخالق، غسان، الزمان، المكان، النص، ص9، وينظر، ماضي ،شكري أبو الشعر، هند ، الرواية في الأردن، منشورات جامعة آل البيت 2001،ط1، ص26-27. وينظر، ياغي، عبد الرحمن، في الروايـــة الأردنيـــة، بحث مقدم لملتقى عمان الأول وزارة الثقافة،1992،ص30.

فيحاولون الاستفادة من لغة الشعر النثرية ويكتبون رواياتهم بهذه اللغة الكثيفة المكثفة، كما فعل إبراهيم نصر الله في روايته (براري الحمى)[1].

استخدم الروائيون في هذه الفترة من عمر الرواية الأردنية الجنس كمهــرب وملجــأ للمشكلات السياسية والاجتماعية التي كانوا يعانون منها، فترى غالب هلسا ومؤنس الــرزاز يتفقان في مفهومهما لاستخدام الجنس في رواياتهما ويعبران عنه بأنه (كهف) وهــو المكــان الآمن في هذا المجتمع القلق والمتخلف[2].

وواصل الروائيون في التسعينيات نتاجهم الروائي بمستوى أوعى من الذي كانوا عليه في الثمانينيات، واستلهمت الرواية الأردنية الموروث الشعبي ووظفته في سياق رفيع كما في أعمال: (هاشم غرايبه، وطاهر العدوان، وقاسم توفيق)، وظهرت مصطلحات جديدة دخلــت قواميس الكتّاب المحدثين مثل: (مفارقة، تعقيد، توتر، بناء، غموض، صرامة)[3]، كما ولجأ الكتّاب إلى تقنيات (الأحلام وتيار الوعي، والمونولوجيا الداخليــة، والعجائبيــة الغرائبيــة، والمفارقة ...)[4].

اتسمت فترة التسعينيات وبداية الألفية بالفن الروائي الحديث الذي تجرد الروائيون فيــه من المطلقات السردية، ومن الكلاسيكية التقليدية الذي التزم به الروائيون في العقود الأولى من

---

(1) ينظر، السعافين، إبراهيم، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية، ص100، ينظــر، عبــد الخالق، غسان، الزمان، المكان، النص، ص9، وينظر، ماضي ،شكري أبو الشعر، هند ، الرواية في الأردن الرواية في الأردن، ، ص26-27. وينظر، ياغي، عبد الرحمن في الرواية الأردنية، بحث مقدم لملتقى عمان الأول وزارة الثقافة،1992، ص30.

(2) السعافين، إبراهيم ، الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية ص155-156

(3) مالكم، براديري وجيمس، ماك فارلات: الحداثة، ترجمة مؤيد حسن فوزي، دار المأمون ــ بغداد ،1987، ج1:ص158وما بعدها

(4) الكبيسي، طراد، قراءة نصية في روايات أردنية، منشورات أمانة عمان الكبرى، مطابع الدستور التجارية، عمان د.ط1، 2000،ص8 .

عمر الرواية الأردنية[1]، فأصبحت الرواية " نقــدا للواقــع والــسخرية منـــه " [2]، واعتمــد الروائيون الكتابة التجريبية " التي تتحول فيها الكتابة إلى تجربة يخوضها الكاتب للتوصل إلى أساليب تركيبية وتأليفية جديدة"[3] وعكف النقّاد والباحثون على دراسة النــصوص الروائيـــة الحديثة التي امتازت بالتحلل من التقاليد الشكلية واللغوية[4].

ومن أبرز خصائص الرواية الأردنية الحديثة: العناية فـــي المكـــان كبطـــل حقيقـــي، والاهتمام بالفرد من حيث هو جوهر القضايا والنواة التي تشظت عنها (الأنوات) الأخـــرى، ونلاحظ تعدد أبنية السرد وأنظمته، وصفاء اللغة واستخدام الأساطير، والميثولوجيـــا المحليـــة والعربية للترميز إلى قضايا عصرية. وأصبح الفضاء الروائي "اليوم" مفتوحا على وسعه[5].

---

(1) ينظر، عليان، حسن، تجليات الحداثة في الرواية العربية في الأردن، ضمن أوراق المؤتمر العلمي الخامس لكلية الآداب والفنون، بعنوان ((الحداثة وما بعد الحداثة)) تحرير: صالح أبـــو إصـــبع وآخـــرون، جامعـــة فيلادلفيا، عمان ، 2000،ص470 ، وينظر، رضوان، عبد الله : في الرواية الأردنية ملامح واتجاهـــات، م. أفكار، ع (76)، 1985م ،ص36.

(2) عليان، حسن، تجليات الحداثة في الرواية العربية في الأردن،471.

(3) الشيخ، خليل، عن الرواية في الأردن وموقعها في مسير الرواية العربيـــة، مجلـــة أفكـــار، ع 95،ع97، 1990، ص: 33

(4) ينظر، ماضي، شكري، الرواية في فلسطين والأردن في القرن العشرين، ص21، ومن تلك الدراســـات: الكبيسي، طراد: قراءات نصية في روايات أردنية، و أبو نضال، نزيه: علامات على طريق الرواية الأردنية، وقطامي، سمير: الحركة الأدبية في الأردن (1948-1967)، وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان، 1989، عبد الخالق، غسان : الغاية والأسلوب، الأزرعي، سليمان: الرواية الجديدة فـــي الأردن، خليـــل، إبـــراهيم، الرواية في الأردن في ربع قرن 1968-1993، دار الكرمل، عمان، ط1، 1994، وعطيات، محمد: القصة الطويلة في الأدب الأردني، وزارة الثقافة والفنون، عمان،1981م، وغيرها كثير لا مجال لحصرها

(5) الكبيسي، طراد، قراءات نصية في روايات أردنية، ص 8ــ9

الفصل الأول

الشخصية الشعبية وحدودها الثقافية

ليس هناك تعريف محدد للشخصية يجمع عليه العلماء والبـــاحثون المتخصـــصون ؛ وذلك بسبب تعدد العلوم التي تعد الشخصية من اختصاصاتها؛ لذلك يُعد مصطلح الشخـــصية من المصطلحات الفضفاضة التي شغلت الدارسين، فعنوا بتحديد دورها وعلاقاتها وأهميتهـــا ومكوناتها العضوية والنفسية وأركانها .

وتعدُّ الشخصية من المقومات الأساسية للرواية، والعنصر الفاعل الذي يسهم في صنع الحدث والتأثير به "لذلك نجد أن العديد من النقاد يعرّفون الرواية بقولهم: الرواية شخصية"[1]، والشخصية في الأدب تؤخذ من الواقع ومن خيال الفنان، فالكاتب عنـــد خلقـــه للشخـــصيات يستعين بتجاربه التي عاشها وخبرها.

كما أنّ الشخصية بعواطفها ونوازعها ومعتقـــداتها وتعقيـــداتها النفـــسية والفكريـــة والاجتماعية هي مصدر جذب للقارئ، ومصدر إلهام له، حتى أن الشخصية في الرواية تصبح أقرب إليه في التعامل من الشخصيات التي في الواقع؛ ومن هنا فإنه يقع على الراوي عـــبء كبير في أن يقنع الآخرين بشخصيته، حتى تجسد هذه الشخصية الواقع الحقيقي، وحتى تغـــدو هذه الشخصية نموذجاً للناس.

ومن هنا فإن الراوي يكون حريصاً على إيجاد المكان المناسب لهذه الشخصية، كمـــا انه يحرص على أن تعكس بملامحها وسلوكها وتصرفاتها الواقع الحقيقي للشخصية، والمتابع للروايات الأردنية يجد أن الشخصيات فيها تختلف، حيث تتنوع الشخصيات، فنجد الشخـــصية المغتربة عن المكان، وهناك الشخصية المتآلفة مع المكـــان، وهنـــاك الشخـــصية الـــضائعة المتنازعة بين الانتماء للمكان وغربتها عنه [2].

---

[1] ماضي، شكري عزيز، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة1996م ، ص30.

[2] عثمان، عبد الفتاح ، بناء الرواية، ط1، دار العودة، بيروت، 1982، ص113.

أما الشخصية من الناحية الشعبية فهي " انتماء الشخصية إلى فئة معينة من النـــاس أو مكان محدد كالريف أو البادية أو طبقة اجتماعية، بحيث ينعكس هذا الانتماء علـــى حركتهـــا ولغتها وسلوكها وطموحها "[1]، وإن أغلب الشخصيات الشعبية يعتمد تكوينها الثقـــافي علـــى الثقافة التي يولِّدُها المجتمع والمقصود به مجتمع الطبقات الاجتماعية المنخرطة بهموم المجتمع وقضاياه وما يفرضه من تحديات اقتصادية واجتماعية، إذ إن الشخصيات الـــشعبية تنـــضوي على بناء ثقافي ذي علاقة بالمعاش اليومي الذي يمثل المنظومة المعرفية التي تكون الشخصية الشعبية من حيث هُويتها المجتمعية، فالإنسان صاحب الثقافة الشعبية هو الذي "تشغله همـــوم الحياة وما تفرضه عليه مشاغلها اليوميّة من توفير الرزق وسبل ضمان العيش، والذي يواجه الحياة يوميا فيختبر كل ما يصادفه ويتعرف عليه ...وقد لا يتقن الكتابة والقراءة ولكن الحياة التي يواجهها والتجارب التي يخوضها تجعل منه إنسانا واعيا يعرف كيف يتصرف وكيـــف يتشبث بالحياة ويعمل على تغيرها نحو الأفضل "[2] ، "وهو الذي يمتلك المعرفـــة ، وموهبـــة الحكم على المواقف المختلفة ...والصفة الغالبة على كل المثقفـــين هـــي اســـتيعابهم لأدوات المعرفة واستخدامها في العمل الذهني "[3]وهذا التحديد لمفهوم المثقف لا يتطابق مع المعنـــى الشائع الذي يوحي بأن المثقف هو من أخذ من كل علم بطرف ولذلك حاول مجموعـــة مـــن العلماء مناقشة هذا الموضوع وبيان أنّ المثقف " ليس كما قيل: هو من أخذ مـــن كـــل علـــم بطرف، بل هو من أرقته المعرفة، فاستيقظ وجدانه من جراء ما تعانيه أمته، فالثقافة معانـــاة، فالطبيب الذي يعالج مرضاه بغرض الكسب أو الشهرة لا يكون مثقفاً، والمهندس الذي يتعامل

---

(1) سماحة، فريا ل ، الشخصية في روايات حنا مينا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،1999،ص30.

(2) القاسم، نبيه ، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، دار الهدى للطباعة والنشر، 2005،ص 277.

(3) الخطيب , عمر عوده، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط2، 1984،ص22.

مع الآلة لصناعة الأشياء، ولا يشارك أمته آمالها وآلامها لا يسجل في قائمـــة المثقفــين، لأن العلم خصوصية التفكير والثقافة عالمية التفكير "[1].

"والهُوية الثقافية لأية أمة من الأمم هي الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يتعرَّف عليه بها الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة أو أنها القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها"[2]وعليه فإن المنتمين إلـــى أمة ما لابد أن يتم بناؤهم الثقافي وفق المرجعيات المؤسسة لثقافة تلك الأمة التي تُعَدُّ المركـــز في رفد الأفراد بما يشكل الوجه الحضاري لها آخذين بالتعريف التالي: " الثقافة هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا فـــي المجتمـــع "[3] ووفق التعريف الشامل للثقافة فإن مكوناتها هي المغذيات الأساسية للشخصية الشعبية التي قد لا يتاح لها أن تنال مستوى تعليمياً عالياً، فيقتصر بناءها الثقافي على هذه المكونات التي ترسم الحدود الثقافية للشخصية الشعبية من حيث اشتمالها على ما يجعل من الفرد عـــضواً فـــاعلاً ومتفاعلاً مع محيطه الاجتماعي بما يضمن التواصل الاجتماعي على مستويات أفراد المجتمع.

وللشخصية الشعبية روافد ثقافية عرفت بما يسمى التراث الشعبي ،وهذه الروافد ذات صبغة شعبية مأخوذة من واقع حياة الشعب وتفاعلاته الاجتماعية وهي مصدر ثري يكـــشف عن البناء النفسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات، ويشتمل مصطلح التراث الشعبي على العديد من الفعاليات الثقافية والاجتماعية من مثل: "الأساطير، والخرافات، والقصص الـــشعبية

---

[1] عشقي، أنور ماجد ، الإسلام ومقتضيات العصر، مكتبة التوبة، الرياض 1415هـــ، ص129.

[2] الليثي ،سارة ،الهوية الثقافية ، جريدة ايلاف،موقع الكتروني،www.elaphblog.com/posts.aspx?4=3801ba=70181.

[3] الساعاتي، سامية حسن، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت ،1983،ص35.

... وعبارات التحية والوداع والمجاملات، والملابس الشعبية، والرقص الشعبي، والأغاني الشعبية، والطب الشعبي، والمواسم والأعياد والمناسبات المختلفة ..."[1].

وعليه لا تكون صفة الشعبية المرتبطة بالثقافة أو الشخصية علامة سلبية أو دلالة على تفاوت بينها وبين الثقافة الرسمية، ومن الدراسات والأبحاث الاجتماعية ما رفض استعمال مصطلح الشعبية خوفاً من تراتبية تصنيفية تجعله في مكانة دنيا مقابل الثقافة النخبوية فهو عند هذه الدراسات " مصطلح ايديولوجي لا يجد مبررا للاستعمال والتداول إلا في المجتمعات الطبقية التي تقسم مسألة السلطة والهيمنة ومواطنيها إلى طبقة مسيطرة مهيمنة، وطبقة خاضعة ومحكومة، ولكل من الطبقتين رؤيتها وتصورها عن الواقع، تصوغ بها ايديولوجيتها المعروضة على الواجهة الثقافية، وفي هذه المجتمعات يصطلح على الطبقة المسيطرة بالثقافة الرسمية مقابل ثقافة الطبقة المحكومة المهيمن عليها "[2] بينما يرى الباحث أن ما يعنيه بمصطلح الشعبية لا يحتمل تصنيفا تراتبيا ولا دلالة تحط من شأنه مقابل ثقافة عليا، إنما عُنِيَ الباحث بهذا المصطلح من حيث هو بؤرة للتفاعل الاجتماعي ذي الروافد الثقافية .

وسيلقي الباحث الضوء على رواية (ذيب الصالح) لموسى الأزرعي، (القرمية) لسميحة خريس، في سياق دراسة الحدود الثقافية للشخصية الشعبية التي ظهرت بالروايتين.

تتحرك شخصيات رواية " ذيب الصالح " للروائي " موسى الأزرعي " في فضاءات يمكن تحديدها في الريف المحلي الأردني في مرحلة الأربعينيات والخمسينيات؛ ورغم قراءتها

---

(1) الملقي،هيام، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، دار أشواق للنشر والتوزيع، الرياض ،1995، ص261.

(2) بزيكا،محمد :مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي ، مجلة آفاق ،صادر عن اتحاد كتاب المغرب ،السلسلة الجديدة،ع9،يناير ،1982،ص13.

المنهكة وتفاصيلها المتداخلة إلا إنها تقدم وثيقة تاريخية اجتماعية سياسية عن تطور الحياة في المنطقة وإن بالغت في بعض المواقع في تسجيل الكثير من تفاصيل الحياة، إلا أنها كذلك تقدم من خلال شخصياتها الشعبية بانوراما فنية زاهية لطبيعة الحياة إبان تلك المرحلة.

تتبين لدينا زمنية أحداث الرواية من خلال بعض السياقات التي دارت على لسان بعض الشخصيات في الرواية، مثل سقوط حلف بغداد، وطرد غلوب باشا، ونص آخر يشير إلى العدوان الذي شنته بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر والذي يصادف 1956م[1].

تتسم رواية " ذيب الصالح " بكثافة الشخصيات والأحداث وتداخلها وتباعدها، وتتسم كذلك بالقدرة على اللمح والغوص في التفصيلات التي أجهد الكاتب نفسه بها، وتبرز لنا الرواية كذلك صورة المثقف الحزبي، كما وتقوم على سرد الأحداث والتفصيلات المتعلقة ببطل الرواية، إذ تابعت الرواية حياة " ذيب الصالح " من خلال التقاطها المشاهد التي اتسمت بها ملامح شخصيته المتعددة والمعبرة عن وضعه الاجتماعي والثقافي.

وتعكس الرواية بساطة الحياة الريفية في الأردن عموماً وفي منطقة حوران على وجهٍ أخص إبان مرحلة الخمسينيات، كما وتعكس كذلك ردة فعل الناس تجاه قضايا أساسية أحدثت منعطفات تاريخية في التركيبة السياسية والبنية الاجتماعية آنذاك، كما رصدت الرواية التحولات الموضوعية التي شهدها المجتمع الأردني، حيث حملت هذه المرحلة في جوفها تحولات مجتمعية مهمة، كالعناية بالتعليم، والنهوض بالهم السياسي والرغبة بالاستقلال التام وتأسيس الكيان، فقد استكملت هذه الرواية " استحضار الذاكرة التي شهدتها الأربعينيات

---

[1] انظر: الأزرعي، موسى، ذيب الصالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ــ ساقية الجنزير، 1998م ، ص 188 ، 218 ، 210.

والخمسينيات والتحولات التي عاشها الأردن والعالم العربي، عن طريق رسم بنيـــة ارتبـــاط الإنسان بالأرض والتاريخ والجماعة، من أجل مواجهة الدمار والخراب الذي لحـــق بالـــذات الإنسانية العربية "[1].

استندت الرواية في سرد أحداثها على استرجاع الأحـــداث [2]، القديمـــة ثـــم ربطهـــا بالحاضر، وجاء معظمه _ أي الاسترجاع _ متعلقاً بشخصية " ذيب الصالح " بطل الروايـــة، فيؤجل الكشف عن أسباب موته؛ ليملأ الساحة التي تسبق الإعلان عن مصرعه بـــالمبررات التي تجعل هذه النهاية ممكنة أو متوقعة، ولتنوير القارئ كذلك عن الأحـــداث التـــي جـــرت خارج الزمن الروائي والمتعلقة ببداية التشكيل المجتمعي بالقرية، كما وجاء الاسترجاع للتمهيد عن بعض الشخصيات وبالأخص (ستيرا، ونجيب السايس، ونادر، وماجد، وريا، وأبو جمال ... وغيره من الشخصيات).

يعرض الأزرعي شريط حياة أبطاله من خلال اللوحات والصور والمشاهد المنتقـــاة الدالة على الوعي السياسي، وفهم للواقع، وحب للعلم والتعليم، كما ينقل مشاهد التكافل الديني، والترابط الاجتماعي حيث يتعايش الناس في القرية بقيم النخوة والمحبة والحمية حتـــى بـــدت القرية نسيجا واحداً تتكرر لديهم روح التعاون الذي يرافق النشاط الزراعي ويرتبط بـــه فـــي أغلب الأحيان، كما تتكرر لديهم قيم التكافل والتضامن الدينيّ فقيم المحبة مبثوثة بصورة جميلة بين معتنقي الإسلام والمسيحية، أفراحهم واتراحهم واحدة لا يفرق بينهم شئ إلا حرية الاعتقاد

---

(1) الذنيبات، رانيا، بناء السرد في الرواية الأردنية (1994-2000)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتـــه 2002، ص 7.

(2) الأسترجاع: أن يتوقف الراوي عن متابعة الأحداث الواقعية في حاضر السرد ليعود إلى الوراء مـــسترجعاً ذكريات الأحداث والشخصيات الواقعية قبل أو بعد بداية الرواية. بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي،الناشـــر المركز الثقافي العربي،بيروت،1990 ،ص121.

واداء العبادات فصوت الآذان يتناغم مع أجراس الكنيسة، حيث إنهم يشكلون نسيجا واحداً قل نظيره بالعالم [1].

وبعد هذه المقدمة لابد لنا من استعراض الشخصيات الروائية؛ لبيان دورها ووظائفها وعلاقاتها داخل فضاءاتها، ومستوياتها الثقافية آخذين بعين الاعتبار التمثيل بأكثر الشخصيات خدمة للموضوع الذي نحن بصدده .

يعد " ذيب الصالح " من الشخصيات المحورية التي تبقى دائماً حاضرة في ذهن الراوي، يتميز ذيب الصالح بحبه الكبير لأهل قريته وعمله الدؤوب على كل ما هو خير ومفيد ومحاربته لكل ما هو سلبيّ، حتى أصبح رمزاً واسطورةً (بالبعد الفني لا الموضوعي لمفهوم الإسطورةِ) تستعاد وتتفاعل في وجدان الناس، فقد عاشت القرية يوم وفاته " ليلة طويلة جديدة من لياليها المعدودات "[2]، ودعته القرية بكل ناسها إلى مثواه الأخير، وبكته وكأنها تبكي نفسها، وتركت وفاته حزناً عميقاً اقتحم نفوس الناس حتى لم يبقَ أحد من أهل القرية إلا وتذكر شيئاً عنه[3].

و" ذيب الصالح " على المستوى الشخصي رجل " **يأرق بالآم الناس** "[4]، وملجأ لحل المشكلات حتى أنّ قائد المخفر الذي عرف بالشدة والصرامة لجأ إليه لحل قضية الثأر التي أرقت أهل القرية إذ تعد من أكثر الظواهر الاجتماعية التي مارست تأثيرات سلبية على حياة الناس في المجتمع الأردني وأدت إلى عدم استقراره، خاصةً القطاعات البدوية والريفية.

---

(1) ينظر:الأزرعي، موسى، ذيب الصالح ، ص 5 ، 48 ، 54 ، 56 ، 57 ، 121 ،122 ، 141 .

(2) السابق، ص11.

(3) نفسه، ص11، 22، 48.

(4) نفسه، ص 218.

" فالبطل في واقع الحياة المعيشة هو الذي تثق به الجماهير وبقدرته على تخليصها من الحالات البائسة التي تعيشها، القادر كذلك على تحقيق رغباتها، وهو الذي يـؤثر بالأحـداث ويوجهها كما يشاء"[1]، وذيب الصالح محط اهتمام أهل القرية من رجال ونساء وفتيان، كانت " **مضافته... عامرة دائماً** "[2] يقام بها السهرات والحلقات النقاشية التي تميط اللثام عن بُعـد سياسيّ ونقد لأوضاع المجتمع المحلي والعربي .

تميز ذيب الصالح بالعقلية المنفتحة وبعد النظر في التفكير الـسياسيّ رغـم ثقافتـه البسيطة، إلا أنّ الحياة التي عاشها والتجارب التي خاضها جعلت منه إنساناً واعياً مدركاً لمـا يدور حوله من الأحداث، فكان له العديد من التنبؤات منها أنّ الملك حسين بن طلال _المغفور له بإذن الله _ سوف يطرد غلوب باشا وإنّ المظاهرات سوف تـسقط حلـف بغـداد، وأنّ الحكومة ستنهي المعاهدة مع بريطانيا، أنّ الإنجليز سيرحلون[3]،يقول نادر البطرس:

" فذيب الصالح رأى مشروع حلف بغداد يسقط

فرأى أن بريطانيا ستخرج ..لأن بريطانيا كانت

وراء حلف بغداد، وحتى لو لم يُطرَح مشروع

الحلف ورأى بريطانيا تخرج من مصر سيعرف

أنها ستخرج من هنا "[4].

---

(1) القاسم ، نبيه ،الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف ، ص 238 .

(2) الأزرعي موسى، ذيب الصالح، ص 287.

(3) ينظر السابق ، ص 185 ، 186 ، 218 .

(4) نفسه، ص 218 .

لقد حاول الكاتب عرض ثقافة " ذيب الصالح " فنياً من خلال العديد من الحـــوارات والمناقشات التي تنم عن نظرته العميقة للأمور بكافة مجالات الحياة الأمر الذي دفع " فـــالح المسعود " أن يقول عنه :

"ذيب الصالح لا يقرأ الفنجان ولا يضرب بتخت
الرمل .. ذيب الصالح يفهم أكثر من كل أولاد
المدرسة ومعلميها والمقدسي "[1].

لم يكن ليضفي الكاتب على بطله صفة الواقعية، أو يعطي القارئ القدرة على الاقتناع بوجود مثل هذه الشخصية بهذا البعد في تلك المرحلة بالذات، ولذلك ظلّ القارئ على يقين بأن هذه الشخصية في أحاديثها وحواراتها وفلسفتها الراسخة ما هي في الواقع إلا ثقافـــة الكاتـــب نفسه وفلسفته التي انتدب لها هذه الشخصية .

ويمثل ذيب الصالح انموذجا نادراً للإنسان الذي يقدم التضحية على القيم الاجتماعية، فقد عاش مع زوجته (نوره) خمسة وثلاثين عاما بكل نقائه وعواطفه وحنانه دون إنجـــاب أبناء بسبب عقمها إلا أنه " جلب لنفسه عاراً لا يليق بالرجال[2]" عندما أقرَّ أن " عقمه العـــائق من إنجاب نوره الأبناء "[3] إكراماً لزوجته، وترتفع لديه نبرة البعد الإنسانيّ في قمة تجلياتـــه عندما سامح نجيب السايس بدم أخيه سالم من دون مقابل [4].

---

(1) الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 187.
(2) السابق، ص 91.
(3) نفسه، ص 91.
(4) ينظر نفسه، ص 47.

قد يكون موسى الأزرعي في رسمه لشخصية ذيب الصالح اهتم باختيار الاسم الملائم، فذيب يدل على التضحية والشجاعة والرجولة والفطنة والقوة المحضة، وأما صالح يدل على الرقة والشفافية والألفة والمودة مع كل من عاش معه وعرفه، ومن متابعتنا لمراحل حياته نجد ما يؤكد رأينا هذا وبذلك يكون لاسمه دلالات كبيرة يتركها الراوي بذهن وخيال المتلقي.

ومن الشخصيات التي لعبت الدور الإيجابي في الرواية وكانت على درجة عالية من الثقافة معلم المدرسة " ستيرا " الذي يشكل الشخصية النموذجية المهمة بين الشخصيات التي وفدت إلى القرية؛ وذلك لمركزيته في أحداث الرواية، فستيرا كما تقول الرواية:

" أكثر الغرباء اندماجا بالقرية، هو المعلم الوحيد من معلمي المدرسة الذي دخل غالبية بيوتها، والمعلم الوحيد الذي لم يختلف مع تلاميذه سياسياً كالمعلمين الآخرين ..."[1].

يتحلى ستيرا بالديمقراطية البعيدة عن الفوضوية والتزمت؛ لذلك لم يختلف سياسياً مع تلاميذه، بل كان يحثهم على الاستقلاليّة بالتفكير وعدم الالتزام بوجهة محددة، لأن الالتزام عنده " استلاب لحق الفكر في التفكير، استلاب لحق العين في النظر .. وإلزامها النظر من ثقب إبرة "[2]، شارك ستيرا بعمليات الكفاح المسلح ضد الصهاينة؛ لتحرير القدس التي ظلّ يعد بحريتها إلا أنّ وعوده تحولت إلى يأس وإحباط قاتلين، لذلك قرر الانتقال إلى مدرسة القرية[3]، وهناك شارك بالعديد من المظاهرات التي حشدت عدداً هائلاً من الفلاحين البسطاء،

---

[1] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 60.

[2] السابق، ص 322.

[3] نفسه، ص51 – 52.

والمعلمين، والنساء والطلبة؛ للتعبير عن موقفه الذي هو موقف أهل كل القرية، ومما يؤكد وعيه وإدراكه لما يدور حوله أنه تنبأ بأنه:

" سيأتي يوم عن قريب ترحل فيه فرنسا، وتغيب شمسه عن بريطانيا، وسينتهي عصر الأمبراطوريات، وستفقد بريطانيا ثروتها غير الوطنيّة،ستتقزم، ستتحجم، وتصبح دولة خامسة أو سادسة في العالم "[1].

وتبدو الشخصيات الإيجابية عامة لأغلب الشخصيات وليست حكراً على شخصية واحدة حيث تقوم الرواية بتصوير الوعي الاجتماعي لمجموعة من الأفراد، وتنبع إيجابية الشخصيات خصوصاً الثقافية من حركتها البناءة نحو تغيير الواقع مجتازة ما يعترضها من عقبات ويهدف هذا التغير الذي تسعى إليه الشخصيات إلى إقامة مجتمع جديد والدفاع عنه من أجل ما هو خير وجديد ومن هذه الشخصيات " إلياس، ونعيم، وأنيس، سليمان، ونادر البطرس، أسماء كانت وظلت تتردد في البيوت والمضافات والدكاكين واللقاءات التي تغلق عليها الأبواب و النوافذ ... أسماء اشتملتها قوائم حركات التحرير وهيآت حقوق الإنسان وأصبحت موضوعات لمؤتمرات وملتقيات وعناوين صحف ومجلات وشعارات ومهرجانات "[2]، " كان نادر البطرس أكثرهم استثارة للتساؤل والحديث ... وهو الفتى الذي لم يكمل السابعة عشرة من عمرة "[3]، جعل الكاتب من أبي المسائل المنجمة _ كما كان يلقبه الأستاذ " نعمة الله "_ بطلاً متميزاً منذ طفولته ومختلفاً كذلك عن غيره، ومن الوقائع التي تؤكد طفولته

---

[1] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 59.

[2] السابق، ص 332.

[3] نفسه، ص 333.

المختلفة شجاعته في إنقاذ " زعيلة البادي " عندما انزلقت عن ظهر البهيمة إلى قاع البركة، وإنقاذه كذلك حقول القرية من الحريق[1]، ومن الوقائع التي تدل على نشأته المختلفة وعلى فطنته وعناده صموده الحزبي فقد رفض استنكار حزبه الشيوعي تحت وطأة السجن والتعذيب والقهر[2].

لقد كان الطلبة في مرحلة الخمسينيات وقوداً للاحتجاجات والرفض والمظاهرات من أجل الحرية والاستقلال، وتعد المدرسة هي مرحلة تكوين الوعي لدى الطلبة وليست مرحلة الوعي التام، وإن الطلبة بدورهم يتأثرون بمعلميهم المنتمين للتيارات المختلفة .

تتعدد النماذج النسائية في رواية " ذيب الصالح " إلا أنهنّ باستثناء " ريا " زوجة ذيب الصالح يفتقدن الدور الفاعل، تقوم كل واحدة بدورها كزوجة، وأم، وأخت، فلا نلمس منهن الأنوثة المتميزة، فالراوي لم يجعل من ريا أنموذجا جامداً، ولعل عظمتها تتجلى في جوانب ضعفها بقدر ما تتجلى في جوانب قوتها، ونجد الروائي يركز على ثقافة " ريا" التعليمية مع أن الفترة الزمنية التي دارت بها أحداث الرواية لم تكن تسمح بوجود شخصية كشخصيتها ، فالتعليم في تلك الفترة لم يكن متاحاً حتى للرجال ، فكيف النساء ؟!، ومع ذلك بدت "ريا" ذات ثقافة عميقة، وعلم واسع، فقد كانت تعمل معلمة في مدرسة البنات في القرية، كانت أنموذجاً للأم الواعية التي تحملت المسؤولية بعد وفاة زوجها الذي كان انطلاقة التفجير للمشاعر والمواقف ودفعها لمواجهة الواقع الظالم، فنتيجة رفضها التنازل عن حصة أبنائها من الإرث لأبناء عمهم (سليم و توفيق) تعرضوا لها ووصفها سليم بالزانية والقاتلة حتى أصبحت مضغة القرية التي تحول أهلها سوط من الألسن السليطة تنهش بعرضها ، ورغم ذلك كانت

---

[1] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 333 – 338.

[2] السابق، ص 302 – 305.

نموذجاً للصمود و رفض الذل و الاستسلام عندما أدركت بحدسها ووعيها الـيقظ أن نجيـب السايس _ والذي يمثل انموذج الشخصية المنافقة والمستغلة _ لا يريدها لمحو الإشاعات عنها ، تقول لأخيها :

" نجيب السايس لا يريدني .. أنت تعرفه أكثر مني

يريد أن يذلني ..يريد أن يمتلكني .. يريد أن يذل

ذيب الصالح في قبره "[1] .

وتؤكد له بأنها تريد زوجاً لها وأباً لأبنائها، وتحرص ريا على التعليم؛ لأنهـا مثـال للمرأة المثقفة، كما كانت أيضاً مثالاً للفتاة الشريفة العفيفة والمواطنة الصالحة التي تساهم في دفع الواقع نحو التغير والمؤثرة في توجيه الأحداث، وبذلك يقدم لنا الراوي ريا بـشكل غيـر نمطي ويبرز لنا تميزها وبطولتها ويجعلها انموذجاً حياً لا جامداً.

وهناك العديد من الشخصيات وردت على هامش الرواية؛ للمساندة في بناء أحداثها مثل طالب المدرسة " ماجد " الذي كان مثوراً للطلبة ضد الاستعمار وحلف بغداد [2]، ومـن الشخصيات الهامشية كذلك " محمود الفاضل الذي كان ثورياً وتقدمياً واشتراكياً فهو كما يقول الراوي: **" مع الجمهورية ضد الملكية، مع الاشتراكية ضد الإقطاع**

والبرجوازية، مع الحرية ضد الاستعباد ...مع الأبطال

والقادة العظام "[3].

---

[1] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص420.

[2] السابق، ص 67 – 74.

[3] نفسه، ص 342.

ومن هذه الشخصيات " صلاح " الذي سافر إلى موسكو ليكمل دراسته في أحد المعاهد لدراسة الطب فيجد العديد من المظاهر الحياتية التي تشكل صدمة كبيرة للصورة التـي حملهـا فـي مخيلته عن الإشتراكية التي كان مغرماً بها[1].

وهذه أغلب السمات العامة للشخصيات التي برزت في رواية " ذيب الصالح"، ونعتقد أن الكاتب استطاع أن يجسد رؤيته السياسية والاجتماعية والثقافية من خلال أدوار ومواقـف شخصياته الروائية. كما أننا نتابع على امتداد الرواية تفاصـيل الحيـاة ومفـردات التطـور العصرية: الراديو، الكهرباء، والإسفلت، وتحول البئر إلى حنفية، والكاتب عندما يرصد تقنيات الحضارة يرصد كذلك اشتباكها في ذهن الناس[2]، فالراديو وسيلة لزيادة الوعي والثقافة لـدى أهل القرية، فقد انفتحت القرية على العالم كما تقول الرواية :

" ترددت أسماء كثيرة لم تسمعها الآذان الكونغو،سيلان، سيام ... عبد الحلم حافظ، رفيق شكري، توفيق النمري، أسماء وأسماء يقرر ذكر بعضها موقع مؤشر الراديو ويحيل المضافة إلى حلقة نقاشية، ويهرب المؤشر عن بعضها فيحرث ميناء المذياع جيئة وذهاباً إلى أن يستوقفه واحد أو اثنان عند أغنية أو تعليق أو نشرة أخبار أو لقاء مع مطرب أو ممثل سينمائي "[3].

---

[1] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 347 – 350.

[2] ينظر: الصالح، نضال، سميحة خريس قراءات في التجربه الروائيـة، الناشـر أمانـة عمـان، عمـان: الأردن،2005 ، ص 39ـــــ 40 .

[3] الأزرعي موسى، ذيب الصالح ، ص 170.

والكاتب مولع بالوصف التفصيلي الخارجي للأشياء والأشخاص والأماكن فنحن نتابع حياة البطل وذكرياته من خلال تيار الوعي والتذكر والسرد بواسطة بعض الصور والمـشاهد ذات الدلالة في تكوين شخصية البطل وتطوره ، غير أنه كثيراً ما يقلب زمام الإستذكار وتيار الوعي إلى ثرثرة ووصف للناس والأشياء وتعليقات مباشرة لا صلة لها بسيرة بطله وذكرياته مما يحيل الرواية إلى مشاهد و ذكريات و تعليقات متناثرة مفككة غير مترابطـة؛ لافتقادهـا للتشابك والتعقيد[1].

أما المستوى الثقافي للشخصيات في الرواية فتباين، فمنهم المتعلم على درجـة عاليـة، ومنهم الأمي؛ لذلك نجد لغاتهم وحواراتهم مناسبة لمستواهم، فتتراوح بـين اللغـة الدارجـة المحكية وبين اللغة الفصيحة البسيطة.

أما رواية " القرمية " للكاتبة سميحة خريس فقد حظيت بقدر كبير من اهتمـام القـراء النقاد[2]، لاسيما وإنها تركز في سردها على حدث تاريخي مهم شكلّ نقطة تحول مهمة فـي العالم العربيّ والإسلاميّ، وهو الثورة العربية الكبرى التي جاءت كردة فعل أساسية لعمليـات القمع والظلم والتجهيل التي مارسها الحكم التركي الطورانيّ في آواخر العهد العثمـانيّ ضـد العرب لاسيما جنوب الأردن المكان الذي دارت فيه أحداث الرواية.

تمزج الروائية بين الواقعية والتعبيرية وتثري روايتها بتفاصيل واقعية مـستمدة مـن الماضي الأردنيّ، كما تعيد صياغة أحداث الثورة العربية الكبرى في مزيج جديد من الخيـال والإبدع بصور قوية الإيحاء، معتمدة بذلك على المونولوج الداخلي وتيار الـوعي والتـداعي

---

[1] عطية، أحمد محمد، الرواية السياسية ، ص 19.

[2] ينظر، الكبيسي، طراد، مزج التخيل الأسطوري بالواقع التاريخي، مجلـة عمـان ،العـدد 52، 2000م/ الصالح، نضال قراءات في التجربة الروائية (سميحة خريس)،38ص.

ونسبية الأحداث والشخصيات[1]، فتصور لنا ظاهرة الغزو المألوفة والمتوقعة نتيجة غياب الأمن وهيبة الدولة الحاكمة، والغزو من أحد الظواهر السائدة قبلياً منذ القدم نتيجة للفقر والقحط، وتتعامل الحكومة العثمانية آنذاك معها ومع مثيلاتها دون مبالاة وكإشارة إلى غلبة العرف الاجتماعي والثقافة السائدة ضمن المنظومة الاجتماعية المحلية آنذاك قرر الشيخ " عوده أبو تايه " غزو قبيلة الجازي تقول الرواية:

" عند المغيب وعوده يتأمل دلال القهوة الأربع ترتكز

على جمر الموقد،ويشتم العبق القوي للبن المحمص

وهو يفور فوق نيران الخشب والشيخ يستعرض في

خاطره غاراته التي وصلت تخوم الشام، وأقاصي البلاد

في شط العرب، نظر إلى رجاله،فكرّ وقدر لو أن المحل

ترك أرضاً لسعى إليها، ولكن جود السماء انقطع عن

البدوي وفاز الفلاح باحتسابه حق هذا اليوم، والبدو

من حويطات الجازي تبعوا خطى الزارعين فنجوا من

جوع المحل .. كم قريبة هي ديرة الجازي !! في

متناول اليد ديرة ابن العم !!"[2]

وبقدوم الأمير فيصل بن الحسين والثوار العرب من الحجاز حاملين شعار الحرية والاستقلال توحدت القبائل ونسيت ما بينها من نزاعات عشائرية حدثت قبل هذا اليوم إيماناً

---

[1] ينظر، عطية، محمد أحمد، الرواية السياسية(دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، الناشر: مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1980م، ص 188.

[2] خريس، سميحة، الأعمال الكاملة (الجزء الثاني)، الأردنية للنشر والتوزيع، 2008، ص 27 .

منهم بوحدة النضال العربي ووحدة الثورة العربية المتجسدة لدى أهل الجنوب بشخصية الأمير فيصل، تقول الرواية:

" انبطح الراعي لهفة على الأرض ألصق أذنيه بطينها اللزج، غير موقن أن الأرض تنبأ نبأً وهي مبتلة،ولكنها فعلت فقفز عالياً وهو يصفق رأسه بكفه، وقد واتته معرفة أكيده: _ وي .. وي ..خاف الله حرابة العمومي وصلت ديارنا وي .. وربي المعبود .. هاظا الأمير .. "[1].

إن البداوة وما يرافقها من تنقل وعدم استقرار لا تفسح مجالاً للعلم والثقافة، إلا أن الإنسان الذي يعي ذاته وهموم أمته بتجاربه وخبرته ولا يتقن القراءة والكتابة _ كما ذكرنا سابقا _ يصح أن يطلق علي مثقفاً وهذا ما نجده عند بطل الرواية الشيخ " عوده أبو تايه " الذي سرعان ما خرج لاستقبال الأمير فيصل وتأدية قسم الثورة يقول الراوي:

" إن الموازين ترجح إمارة الهاشمي، ولكنه يدرك في صميم روحه وعمق إحساسه أن الأمر لا علاقة له بالإمارة هناك شأن أرفع، يلمحه بغريزته للمرة الأولى، هو قادم لا يناطح في إمارة ولا يشتهي ذهباً، ولا يشتكي جوعاً إنما الفضاء الذي يراوده فضاء الحرية ... هكذا هو الأمر الذي يدفعه للخروج صامتاً متأملاً"[2].

---

[1] خريس، سميحة، الأعمال الكاملة (الجزء الثاني)،ص 35.

[2] السابق، ص 29.

فتكشف لنا الرواية الوعي الوطني والقومي اللذين يعززان مقاومة الظلم والتمسك بالأرض والدفاع عنها، كما وتصور مرحلة مفصلية من مراحل تطور الوطن العربي معتمدة فيها على تسجيل الأحداث والوقائع والشخصيات؛ محاولة بذلك أن تصل الحاضر بالماضي؛ لتستخرج منه الشخصيات البطولية التي تمد الحاضر بالمثل العليا، ومما لاشك فيه أن سميحة خريس استلهمت شخصياتها من التراث وهي شخصيات ذات مرجعية حقيقية؛ إذ طرح الاسم التاريخي ضمن إطار النص يجعلنا نقوم باستحضار الإطار الفضائي الذي قصه ذلك الاسم[1] فعودة أبو تايه من الشخصيات ذات الحضور المتميز محلياً وعربياً لا تقف عند كونها شخصية روائية.

ويظهر إلى جانب الشخصيات الحقيقية شخصيات خيالية تحمل مخزون الكاتبة الفكري والثقافي وهذه الشخصيات : " الحكيم و عقاب " الذي يشكل كل منها دوراً مركزياً سارت معه أحداث الرواية وفق النظرة والأهمية ، فعقاب شخصية ملحمية بما يحيط بها من أبعاد وأفاق أسطورية فهو من نسل غير أرضي كما تروي الكاتبة لقد عثر عليه الدواج في عش شهانة (أنثى الشاهين) وقد انبثق من بيضة ضخمة، وأما الحكيم فتحيط بكل حركاته وسكناته هالة أسطورية شفافة حين تنظر فيها، ولكنها مستعصية حين تفكر بها[2]، ويرجع لجوء الكاتبة للمزاوجة بين الشخصيات المستمدة من التاريخ والشخصيات العجيبة؛ محاولة منها للخروج من قيد الزمان والمكان الذي ظهر وكأنه فاعل أساسي ومحرك للشخصيات تتأثر به وتتفاعل معه، ولعلم الشيخ عودة أن المكان مسرح في أسرار النفس وخفاياها أشار على أخته " عليا "

---

(1) بكراد، سعيد، سيمولوجية الشخصيات الروائية(رواية الشراع والعاصفة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص 11.

(2) الصالح، نضال، قراءات في التجربة الروائية، ورقة نبيل حداد (الفن والتاريخ والأسطورة)، ص 116.

أن تذهب إلى البتراء؛ لتنفس عن نفسها وتنسى ما حلّ بها بعد الغزو الذي نتج عنه وفاة زوجها شيخ قبيلة الجازي " عبطان" تقول الرواية:

" أغمضت " عليا " جفنيها فلاح لها " عبطان " ، فتنبهت ولامت نفسها ، جاءت لتسلو فلماذا تستدعي طيفه ؟ أمام الجلال الذي طوق المدينة الصخرية الفاتنة، والشمس توشح الأفق بجرحها، توهجت الحجارة حمراء كجمر مشتعل، شعلة من نار، قبس من نور ..."[1].

وبذلك تكون خريس استطاعت أن تجعل شخصياتها تعبر عن أجواء المكان والعلاقة القائمة بينه وبين الإنسان البدوي كونه المتنفس الوحيد له.

وتبدو مهارة الروائية وفنها في التخفي خلف شخصياتها وترك الحرية لهم فالتعبير عن مواقفهم وآرائهم، إذ استطاعت أن تجعل شخصياتها تنطق وتكشف ما يقوم به " لورنس " مع المقاتلين العرب :

" ترى العربان تضيق بشوفة الإنجليز،

ومن يصدق النعجة تسرح ويا الذيب !! "[2].

---

(1) خريس، سميحة، الأعمال الكاملة (الجزء الثاني)،ص 31ـــ 32 .

(2) السابق، ص 53.

يسود رواية القرمية الطابع القومي التي أبرزتها شخصياتها كما وتخلو من الحب الرومانسي باستثناء عقاب ومزنة اللذان كان حبهما بمثابة شعلة للنضال والمقاومة، ويغلب على شخصياتها تقديم التضحية والإيثار من أجل المصلحة الوطنية والقومية .

لقد توزعت الشخصيات في الروايتين ما بين الشخصيات المثقفة والشعبية البسيطة التي تغذي حركة الرفض الشعبي وقيادتها واستمرارها، وما يميز رواية القرمية هو انعدام الشخصية المثقفة الفاعلة التي كانت بارزة بين شخصيات رواية " ذيب الصالح "، بينما برزت وبقوة الشخصية الشعبية القريبة من الشخصية الملحمية التي افتقدتها رواية ذيب الصالح.

وكما يفهم من روايتي " ذيب الصالح " و " القرمية " أنه يجب على الإنسان المثقف الواعي أن يتمرد على واقعه ويخلص نفسه وغيره من الواقع المرير الذي يحيط به إذ إن " الرفض هو السمة المميزة للمثقف؛ والرفض يكون نتيجة للوعي الذي ساعدت الثقافة على تبلوره، والوعي يوصل صاحبه إلى الرفض ومن ثم إلى الثورة والسعي للتغير مما يضعه وجهاً لوجه ضد السلطة"[1].

لقد تميزت الروايتان في مضمونهما، وتمكن من خلالهما الكاتبان التعبير عن قضايا ذات أبعاد سياسية اجتماعية ودينية بكل صدق وواقعية بلغة فنية ذات تأثير مباشر، ولعل ما تمتاز به لغة رواية القرمية هو توظيف اللهجة البدوية الأردنية بألفاظها الشعبية، وفي رواية ذيب الصالح جاءت اللغة فصيحة مبسطة جداً ومباشرة والحوار كذلك في بعض الأحيان ويعود ذلك إلى أن الحوار يدور بين شخصيات أغلبها مثقفة ثقافة بسيطة.

---

[1] ينظر، القاسم، نبيه، الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف، ص 240.

الفصل الثاني

شخصية ابن المخيم

إن المخيمات الفلسطينية كيانات مستحدثة أملتها ظروف القضية الفلسطينية جراء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية في فلسطين سنة 1948م و 1967م مما نتج عنه طرد وتهجير أكثر من ثلاثة أرباع مليون فلسطيني من مجتمعهم الأصلي، مما اضطرهم للإقامة مؤقتاً فيما يسمى بالمخيمات على أمل العودة إلى أراضيهم، هذا وقد توزَّع المهجـرّون إلى خمس مناطق أقاموا عليها مخيماتهم وهي: الضفة الغربية، وقطاع غزة، والمملكة الأردنية الهاشمية، والجمهورية العربية السورية، لبنان، وقد اكتسبوا مسمىً جديداً فرضه عليهم الواقع بحيث عرفوا عالمياً(باللاجئين) وهم السكان الذين كانت فلسطين مكان إقامتهم خلال الفترة ما بين حزيران 1946م وحتى أيار 1948م والذين فقدوا بيوتهم ومورد رزقهم نتيجة حرب 1948م[1]، حسب تعريف الأنروا، وعرفت المخيمات حسب وكالة الغوث " بأنها قطع من الأراضي خصصت لبناء معسكرات من الخيام يتجمع فيها اللاجئون الفلسطينيون الذين ليس لهم مأوى وليس لهم القدرة على العمل وإعالة أطفالهم وتأمين لقمة العيش لهم. وهذه البقاع من الأراضي تعود ملكيتها للحكومة المضيفة أو مستأجرة من أصحابها لمُدة يتفق عليها الطرفان "[2].

كانت القضية الفلسطينية منذ نكبة 1948م قضية الأردن الأولى بحكم الارتباط التاريخي والسياسي المتمثل بوحدة الضفتين حيث إن العلاقة بين البلدين علاقة عضوية، جراء النزوح الكبير للفلسطينيين من ديارهم إلى الضفة الشرقية والقرار التاريخي بتوحيد الضفتين وما نتج عن ذلك من واقع اجتماعي جديد أسهم في تعزيز العلاقات والروابط بين أبناء

---

(1) ينظر الموقع الالكتروني لـ وكالة الامم المتحدة للاجئين الفلسطينيين، الاونروا، www.unrwa.org/atemplate.php?id=55

(2) المخيمات الفلسطينية بين حلم التصفية وحلم العودة، دراسة من إعداد قسم الابحاث والدراسات تجمع العودة الفلسطيني واجب ص 30 نسخة الكترونية.- www.najah.edu/file/centers/apsim/paletinian comps.doc

الضفتين، وكان له نتائج إيجابية في تطوير المؤسسات واستحداثها، وخلق أنظمـــة تـــستوعب النمو المطرد للمجتمع الأردني الجديد بكافة فئاته وأطيافه.

وعلى الصعيد الأدبي كانت القضية الفلسطينية منذ البداية قضية الأدب الأردني بحيث " ظلت الهاجس الأول للكتّاب والأدباء في الأردن وتقف على رأس اهتماماتهم جميعاً، ولعـــل احصائية سريعة تعطي مؤشراً واضح الدلالة وهي أن تسعة من كل عشرة أعمـــال روائيـــة تصدر أو تنشر في الأردن تعالج الموضوع الوطني وقصة الاحتلال وتحريـــر الأرض، فـــي حين أنّ عملاً واحداً أو أقل ينصرف إلى معالجة أوضاع اجتماعية أو ذاتية خاصة"[1]، يفهم من ذلك أن القضية الفلسطينية كانت وما زالت شأناً داخلياً أردنياً تصدى لمعالجته أدبياً جيـــل من الروائيين الذين واكبوا النكبة وكتبوا عنها روايات متواضعة فنياً من مثل رواية (فتاة من فلسطين) لعبد الحليم عباس، ورواية (وراء الحدود) لعيسى الناعوري[2]، بحيث كانت هـــذه المحاولات الروائية الأردنية المبكرة علامات على طريق تبلور هذا الفن في الأدب الأردني، وبعد هزيمة حزيران عام 1967م، توالت الأعمال الروائية التي ترصد تفـــاعلات القـــضية الفلسطينية والتطورات السياسية التي صاحبتها مستقصية التحولات التـــي ألمـــت بالإنـــسان الفلسطيني المهجَّر بحيث قدمت العديد من الروايات التي تصور الفلسطيني الباحث عن رزقه في بلاد النفط العربية، وما يعانيه ويقاسيه من آلام ونكسات متأتية من المعاملة الحاطة للكرامة والظروف الصعبة، إذ يقع فريسة للاستغلال واملاءات الواقع المرير الذي يجبره على التخلي عن ثقافته ونظرته إلى ذاته مما يقوده إلى الجنون كما في رواية إبراهيم نـــصرالله (بـــراري الحمى)، ويتجلى استغلال الفلسطيني المغترب بحثاً عن لقمة العيش في بلاد الخليج العربـــي

---

[1] عطيات، محمد، القصة الطويلة في الأدب الأردني، ص39.

[2] ينظر السعافين، إبراهيم، الرواية في الأدرن، ص 19 – 24.

في رواية جمال ناجي (الطريق إلى بلحارث)، كما ظلت القضية الفلسطينية حاضرة بأبعادها وتجلياتها كافة في الرواية الأردنية خاصة تلك الروايات التي تطرّقت لعملية السلام المبرمة مع الجانب الإسرائيلي، وخير مثال على هذا النوع من الروايات رواية يحيى خلف (نهر يستحم في بحيرة) التي تدين " عملية السلام وإنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية وتراهما لا يحققان إلا مصالح المسؤولين والساسة العرب والفلسطينيين الذين اشتركوا بها، وكذلك هي تثير فشل فكرة التعايش بين المواطن الفلسطيني والصهيوني التي ينادى بها بعضهم "[1]، وغيرها من الروايات التي واكبت الوضع الفلسطيني راصدة آثار هذه التطورات على الإنسان الفلسطيني في الجوانب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية كافة ممّا يعزّز الرأي القائل بمركزية القضية الفلسطينية في الأدب الأردني الذي واكبها منذ البدايات حتى الوقت الحاضر لاعتبارات تتعلق بوحدة المصير وعلاقات الدم والتاريخ المشترك بين أبناء ضفتي نهر الأردن.

تشكل مخيمات اللآجئين الفلسطينيين وحدة مجتمعة من وحدات المجتمع الأردنيّ بحيث تمثل شريحة اجتماعية قائمة بحد ذاتها، وتمثل نموذجاً على مآلات الشتات الفلسطيني ومعاناة اللاجئين الذين يعيشون في ظروف قاسية تحت وطأة الفقر والافتقار إلى الموارد وضعف البنية التحتية بالإضافة إلى الاكتظاظ السكانيّ في مناطق صغيرة، وما ينتج عن هذه الظروف من أنعكاس على المستوى التعليمي والتربوي والنفسي والأخلاقي بحيث تعد بيئة المخيم مجالاً حيوياً للرصد الروائي بالنظر إلى تعقد تركيبتها الاجتماعية وثرائها الثقافي والانساني بحيث تكون الرواية هي النوع الأدبي الأقدر على " التقاط الأنغام المتباعدة، والمتنافرة، والمركبة،

---

[1] سوالمه، ردينة أحمد حسن، صورة المثقف في الرواية في الأردن في العقد الأخير من القرن العشرين، رسالة ماجستير، 2001م – جامعة آل البيت، ص 49.

والمتغايرة الخواص لايقاع عصرنا " [1]، فبحكم أن بنية الرواية قادرة على استيعاب البنى المتنافرة والمعقدة ورصد تحولات الواقع والتعمق في تقديم صورة ضاجة عن الواقع النفسي والاجتماعي المركب " فهي الجنس الأدبي الذي يعبر بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية، وينبع من رؤية العالم الذي يخبره معه و يحتويه في داخله "[2]، ولأن واقع المخيمات غني بالظواهر التي تعد مادة غنية للفن الروائي تم الالتفاف إليها كمكان للرواية الأردنية بحيث تكون مداراً للأحداث وللولوج إلى عالمها ورصد تحولاته وصراعاته فقد قدّم الروائي الأردني محمد عبدالله القواسمة روايته (الكنزة الخضراء) التي تدور أحداثها في المخيم راصداً طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المخيم، كما قدّم الروائي جمال ناجي رواية (وقت) وهي رواية أنضج فنياً من رواية (الكنزة الخضراء) فيقدم جمال ناجي نماذج حية من واقع المخيمات، وعدة ظواهر اجتماعية نحو الطبقية، والوطنية، والخيانة، كما يقدم في روايته شخصيات تعبر عن الواقع المرير الذي يرزح أبناء المخيمات تحت وطأته والذي أسهم بإفراز هذه الشخصيات والظروف التي يمليها وجودهم فيها، وتعد هذه الرواية وثيقة حقيقية عن الواقع الاجتماعي والثقافي والنفسي الذي تشهده المخيمات من خلال كشفها عن كثير من العلاقات والظواهر ضمن البنيات الاجتماعية المبثوثة في متن الرواية كما تكشف عن طبيعة الصراع الطبقي سواء بين أبناء الطبقة الواحدة ،وهي الطبقة الشعبية الكادحة، أو صراعها مع الطبقة الأخرى[3].

---

(1) عصفور، جابر، زمن الرواية – المفتتح، مجلة فصول،القاهرة، مج 11، العدد 4، عام 1993، ص 5.

(2) مرتاض، عبدالملك، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، العدد (240)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1988، ص 34.

(3) يعقوب، ناصر حسن عيد "التجربة الروائية عند جمال ناجي" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1992، ص 12.

ويتخذ الباحث من هاتين الروايتين (الكنزة الخضراء) و (وقت) انموذجاً لتحليل شخصية ابن المخيم في الرواية الأردنية.

ففي رواية (الكنزة الخضراء) التي تدور أحداثها في أحد المخيمات الفلسطينية في عمان (مخيم الجوفة) يقدم الروائي قصة يغلب عليها الطابع الرومانسي يتحدث فيها عن شاب في مرحلة المراهقة يقع في غرام فتاة تسكن بجواره، حيث تنمو بينهما علاقة تتخللها المصاعب والعوائق الاجتماعية وتنتهي بنهاية مأساوية بموت البطل (كمال) على يد سالم ابن عم البطلة (فيحاء) .

هذه الرواية تتسم ببساطة بنيتها السردية كما أنها تقدم انموذجاً مستهلكاً روائياً من حيث النهاية التراجيدية لعلاقة غرامية تتحد الظروف الصعبة التي تواجه طرفيها لسد منافذ أي نهاية سعيدة ممكنة بينهما، فالروائي يسعى إلى تأزيم المواقف متدخلاً في سير الأحداث وصولاً إلى غايته التي يمكن تمثيلها، أو وجهة نظر مسبّقة ينطلق منها قبل الولوج إلى الرواية بحيث لا يترك للشخصيات حرية التصرف فلا يقدم شخصيات بمقدورها التأثير على البنية الدرامية للأحداث وذلك يتضح من خلال وضع حوارات آلية ومتوقعة على ألسنة الشخصيات التي افتقدت العمق الفني بحيث (ظلت في دائرة من البساطة والتفكك والسذاجة محركة بفعل روائي ينقلها كحجر الشطرنج دون عناء)[1].

إن الشخصيات التي تقدمها الرواية شخصيات غير متمايزة لا يتم استثمار جانب الحوار فيها لكشف الأبعاد النفسية لها، بل نجدها تسير وفق رؤية الكاتب فهي شخصيات امتثالية تسعى لاثبات وجهة نظر أو رأي معين للكاتب وذلك يجعل من الرواية خطاباً ايدولوجياً أكثر من كونها عالم حافل بالتقاطعات والكثافة و الغنى الدلالي والمضموني وقد

---

[1] العبادي، عيسى، مضامين الرواية الأردنية(1967-1990)،دار جرير للنشر،عمان،2005، ص 136.

لاحظ باختين وهو يدرس العلاقات بين الكاتب الروائي وشخصياته أنه (ينبغي على الكاتب أن يصير الآخر بالنسبة إلى ذاته، وأن يرى نفسه بعيني آخر، والحق أنه إذا عاش تحت هيمنة بطل من أبطاله وبوساطته، فإن الرواية تفتقد إلى الخلفية والعمق والعلاقات البارزة إنها بلا شكل)[1].

وعليه فإن نظرة متفتحة في الشخصيات تثبت أنها موضوعة لهدف يسعى الكاتب لإبرازه فشخصية (سالم) ابن عم البطلة (فيحاء) من الشخصيات التي تخدم أغراض الكاتب بحيث أنه يظهر فجأة إثر لقائها بحبيبها، فالكاتب يريد من وراء هذا الحدث التدخل في بناء الرواية الدرامي؛ ليصعد من الموقف بطريقة ساذجة تخدم غرضه في تأزيم العلاقة بين (فيحاء) وحبيبها (كمال)، وليدين الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تقف عائقاً صلباً تحول دون لقائهما ، يقول الراوي :

" فيحاء، من هذا الذي يناديها بغلظة وفي الشارع
وبين المارة؟التفتت ناحيةا لصوت فرأت سالم ابن
عمها يتقدم نحوها بقامته القصيرة وجسمه الضخم.
لم تعبأ به واستمرت في سيريها،لماذا يناديها باسمها
في الشارع؟هل رآهما معاً؟ لقد استطاعت أن تسمع
منه كلاماً رقيقاً طمعاً في قلبها. استيقظت من خواطرها
على صوته سألها بغلظة:

---

[1] ابف تادييه، جان، الرواية في القرن العشرين، ت. البقاعي، محمد خير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 15.

- من الذي كان يسير معك؟اضطرب قلبها وشحب وجهها

ولم تجب فأردف قائلاً:

- قولي من هو؟ لقد لمحتكما من السيارة قبل قليل"[1].

كما لا يقف توظيف الشخصيات خدمة لأغراض الكاتب عند شخصية (سالم) وإنما يتم استخدام شخصية البطل (كمال) من خلال وضعه في زمان ومكان غير مبرر له وذلك عند ذهاب (فيحاء) و (موسى) إلى سينما فلسطين فلا مبرّر درامياً لوجود كمال أمام السينما إلا رغبة الكاتب في تأزيم الموقف واستثماره لاختلاق أحداث تسهم في تأزيمه وتصعيده خدمة للحس الرومانسي الذي ينتهجه الروائي :

" وأمام سوق الصاغة وقع نظرها على كمال وهو

يقف مع ثلاثة شبان، فبُهتت واضطربت في مشيتها

ثم قالت في نفسها: ماذا سيظن وهو يراني أسير مع

موسى؟ وبلغا شباك التذاكر في سينما فلسطين فاشترى

موسى تذكرتين. كمال واقف على قدر أمتار منهما

شابكاً يديه على صدره"[2].

وبالنظر إلى الشخصيات المقدمة في الرواية وعلاقتها بالمكان الذي تدور فيه الأحداث فلا نكاد نرصد بعض الجوانب لتأثير المكان في الشخصيات ووسمه اياها بميسمه الخاص فشخصية (كمال) شخصية رومانسية حالمة لا يمكن انتزاع أي أثر لاقامته في المخيم بحيث لا يتم عكس تأثير المكان في الشخصية داخلياً، بحيث يأتي

---

[1] القواسمه، محمد عبدالله، الكنزة الخضراء،دار الطباعة والنشر، عمان،1971م، ص 57 – 58.

[2] السابق، ص 24 - 25.

تأثير البعد المكاني في الشخصية خارجياً من خلال بعض العبارات التي تدل على الاستعلاء على الواقع الاقتصادي أو الفارق الطبقي اجتماعياً حتى وإن كان جميع الشخصيات في الرواية يقطنون المخيمات فقد حافظ الكاتب على المخيم كبؤرة لتفاعل الأحداث بحيث نرى البطل (كمال) ينتقل من مخيم إلى آخر، كما هي حال خالة البطلة (رسمية) بالإضافة إلى أعمامها الذين يقطنون في مخيم الوحدات، وليس هناك ما يبرر فنياً اتخاذ الكاتب المخيمات مكاناً روائياً إلا ذا كان الكاتب يريد توظيف المكان لإبراز بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي تعتور حياة أبناء المخيمات ويمكن رصد بعض هذه الجوانب في مواضع قليلة في الرواية نحو الحوار الذي دار بين (فيحاء) و (كمال) حول وجهة نظرهما في (البؤساء) والفقراء؛ بحيث يتم استدعاء واقع قاطني المخيمات لتنفيذ صورة نمطية أُخذت عنهم من حيث ازدراؤهم اجتماعياً: " ... **وتبادر إلى ذهنه ذكرى مجيئه إلى دار عمته واحتقارها له؛ فسألها: - هل تحبين البؤساء، يا فيحاء؟ كنت اكرههم قبل أن أسكن مخيم الجوفة، واعتبرهم عالة على المجتمع،وكالقاذورات يجب التخلص منهم، وعندما سكنت في المخيم وسمعت عن قصة والدي البائسة تعلمت أنّ الإنسان تحدر من البؤس**"[1].

يظهر من خلال النص السابق أنّ الكاتب يصرّ على استخدام الشخصيات استخداماً يخدم آراءه، بحيث نجد أن ردّ فيحاء محمّل بأبعاد قصد الكاتب ايصالها لا تتفق وشخصية البطلة المنحدرة أصلاً من عائلة فقيرة وتشارك أبناء المخيم ذات المصير في الشتات، وإن

---

[1] القواسمه، محمد عبدالله، الكنزة الخضراء ، ص 47.

كان الكاتب قدم لرأيها هذا بأن أباها سافر إلى السعودية فتحسن وضعها اقتصادياً، إلا أنها هي أقامت أيضاً في مخيم هو مخيم الوحدات ولا بد أنها رأت معالم البؤس وأثاره علـــى قـــاطني مخيم الوحدات بحيث تتشابه الأوضاع الحياتية لسكان المخيمات على اختلاف أماكنها.

وبذلك نجد أنّ الروائي لم يحسن استثمار البعد المكاني وإبراز الجانب الاجتماعي الذي يشغله وينعكس على الشخصيات بتفاعلها وانفعالها درامياً مما يسهم في تكوين آراء ووجهات نظر الشخصيات حول واقعهم، وذلك أنّ " كل وجهة نظر جوهرية حول العالم بالنسبة للرواية يجب أن تكون وجهة نظر ملموسة مجسدةً اجتماعياً وليست تجريداً دلالياً محضاً وبالتالي فإن عليها أن تتوفر على لغتها الخاصة التي تكون معها عضوياً عنصراً واحداً " [1].

سلطت الرواية الضوء على الواقع الاجتماعي الذي يعيشه أبناء المخيمات من حيـــث التمسك بالعادات والقيم التقليدية ويتجلى ذلك من خلال موقف وردة فعل عم فيحاء عند معرفته موضوع علاقتهما، وعند التعمق قليلاً بشخصيته نجد أن الدافع من وراء تدخله لم يكن خوفه على مصلحة ابنة أخيه بقدر ما كان خوفاً من الفضيحة وإثارة الشكوك ويتجلى ذلك من خلال قوله:

"لا تبكي، فلن يعلم أحد بما حدث، ولكن يجب أن تتركي

ذلك الفتى، فلا تنظرين إليه. إننا لا نستطيع أخذك عندنا

مخافة أن يرتاب الناس من ذلك؛ وقد قرب مجيء أهلك " [2].

ويظهر الكاتب ضعف الروابط الاجتماعية من خلال طبيعة علاقة (فيحاء) بأعمامها ونفورها منهم بينما يستقبلها ويحسن معاملتها أبناء مخيم الجوفة على فقرهم وتدني مـــستواهم

---

[1] باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي،ت. برادة، محمد، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، باريس، ط1، 1987، ص 160.

[2] القواسمه، محمد عبدالله، الكنزة الخضراء، ص 61.

المعيشي والاجتماعي، فيدين بذلك تكبر وترفع الطبقة الاجتماعية رفيعـة المـستوى ممثلـة بأعمامها الذين لا يهمهم سوى سمعتهم ومكانتهم الاجتماعية بينما تنتصر الطبقة المعدمة مـن حيث تبنيها لــ (فيحاء) رغم واقعها الاقتصادي المتدني الذي يبرره الكاتب من خلال وصفه للبيت الذي تقوم فيه عند خالتها:

" ودعته للجلوس في غرفتها وهي غرفة ضيقة مربعة الشكل،
مبنيّة بالقوالب الطينية ومسقوفة بألواح (الزينكو) .. أخذ
يتساءل في نفسه .. لله! كيف يعيش هذا الجمال في غرفة
ضيقة من الطين (وألواح الزينكو)!؟ "[1].

وأما شخصية البطلة (فيحاء) فيمكن رصد بوادر التمرد وعدم الرضـوخ للأوامـر والنواهي الاجتماعية من خلال جرأتها المتمثلة بتحديها المحظور اجتماعياً فتختلي بكمال فـي غرفته الخاصة وتبادله المشاعر الايحائية والعواطف الجياشة، ويبرز عنـصر التحـدي فـي شخصيتها إذ تقول :

" سأحضر إلى بيته عندما يعود، لن يمنع لقاءنا أحد "[2].

أما بالنسبة لبطل الرواية (كمال) فنجد شخصيته غير فاعلة درامياً مقارنة بالبطلـة فغالباً ما يكون فعله متأتياً من أفعال غيره لا أكثر فهو عبارة عن مستودع ومصب للأحـداث التي لا يلعب فيها دوراً إلا دور المُنصاع للواقع الذي آلت إليه، حتى طريقة موته كانت نتيجة لتطور الأحدث، فقد راح ضحية مكيدة ابن عم البطلة (سالم) الذي راقبها إلى أن وصلت إليه

---

(1) القواسمه، محمد عبدالله، الكنزة الخضراء، ص 15 – 16.

(2) السابق، ص 74.

(أي إلى كمال) فاستغل " سالم " الموقف ليداهمهما ويطعن " كمال " فيُرديه قتيلاً دونما مقاومة تذكر منه.

من خلال ما سبق يمكن استخلاص بعض الجوانب العامة التي اتسمت بها الرواية في معالجة الشخصيات بالنظر إلى المكان وأثره فيها:

1. افتقرت الرواية للأبعاد الفنية والعناصر الأسلوبية الروائية التي تسهم في تعميق الدلالة الدرامية للأحداث وانعكاسها على الشخصيات ومدى تطورّها, من مثل استخدام تيار الوعي الذي يسهم في الكشف عن دواخل الشخصيات ومنطلقاتها ودوافعها مما يعمق من دلالات فعلها ذلك أن هدف الروائيين الذين يكتبون باستخدام تيار الوعي في رواياتهم " هو توسيع الفن القصصي بتصوير الحالات الداخلية لشخصياتهم"[1].

2. عدم استثمار المكان وانعكاساته على الشخصيات بحيث تبدو الشخصيات منتزعة من عالمها المكاني والزماني غير متأثرة به.

3. اعتماد السرد " الذي ينمو نمواً أُفقياً مع حركة الزمن التاريخية الرئيسة فلم نلحظ إلا النسق الزمني الصاعد وهو الزمن التقليدي "[2]، والذي يؤثر فنياً على الأحداث من جهة إنها تسير نحو نهاية معدة مسبقاً على كل الشخصيات التي تخدمها.

4. تماهي زمن السرد مع زمن الحكاية فلا حدود واضحة بينهما مما يسهم في ضعف البنية الروائية من ناحية كثافتها وامكانية انفتاحها على آفاق متعددة لا تعنيها درامياً.

5. عدم العناية برسم الشخصيات وتقديمها بصورةٍ نمطية مفتعلة لا تعكس موقعها في الأحداث، وتفتقر الى التجديد المعني باظهار ملامحها المميزة بالاعتماد على : 1- البعد

---

[1] همفري، روبرت – تيار الوعي في الرواية الحديثة، ت:- الربيعي، محمود، دار الغريب، القاهرة، مصر، 2000، ص 24.

[2] العبادي، عيسى ،مضامين الرواية الأردنية، ص 136.

الخارجي،2- البعد الداخلي،3- البعد الاجتماعي. بحيث تم تغيب البعد الداخلي تماماً في تناول الشخصيات ممّا أدّى إلى عدم التمايز بين الشخصيات، ذلك أنه معني باظهار الجوانب الفكرية والمنطلقات النفسية والداخلية الناتجة عن تفاعل الشخصيات مع العالم الخارجي(الواقع).

وقد حاولنا من خلال تحليلنا السابق تقديم نظرة نقدية للرواية ومحاولة البحث عن الملامح المميزة لشخصية ابن المخيم فيها، إلا أن الباحث اصطدم بحقيقة كون الرواية لم تعكس شخصية ابن المخيم بقدر ما اهتمت بعكس وجهة نظر الكاتب الذي وظف المكان (المخيم) دون استخدامه وظيفياً في البناء الروائي فلم يجد الباحث سوى نتف متفرقة ترصد أثر المكان على شخصيات الرواية التي انتهجت الرومانسية في طرحها الذي خدم أهداف الكاتب وآراءه وأفكاره التي يريد تبليغها للقارئ، مما أفقر الرواية فنياً ومضمونياً.

تعد رواية (وقت) لجمال ناجي أنموذجا للرواية الواقعية التي ترسم صورة حيّة ضاجة بالتفاصيل عن شخصية أبناء المخيم ومدى تأثير المكان في الشخصيات التي أنبتت وفقه بتعرجاته وأبعاده وتفاصيله، وعن العلاقة التي تربط الشخصيات به، كما تجعل من المكان بكافة تجلياته مرآة عاكسة لبعض الشخصيات وإن ذلك "ينطبق على بعض الأمكنة " البيوت " التي قام الروائي بوصفها فوصف البيت / هـ جاء من خلال شجرة الكينيا المتمردة الطويلة، وكأنه يصف صاحبها " أبو عباد " الطويل والمتمرد والرافض، وهي عملية وصف للشخصية وللمكان في الآن نفسه، وينطبق الكلام على وصف البيت / د (بيت أبي سليم الفران) الذي عكس وصفه العلاقات الانسانية للقاطنين فيه مع بعضهم بعضاً ومع الآخرين حيث اتصف هذا المكان بالافتقار إلى النظافة فجاء وصف البيت للأشخاص القاطنين فيه مطابقاً لهم"[1]، يقول الراوي:

---

[1] يعقوب، ناصر حسن عيد ،التجربة الروائية عند جمال ناجي، ص 36 – 37.

"يهجم الذباب علينا ،يدوم حول رأسينا ليذود عن حياض تلك الأوساخ المتراكمة أمام دار أبو سليم الفران، تلك الدار التي لا توحي إلا بإحساس واحد هو الغثيان "[1]

ويستخدم المكان أحياناً لنقل الواقع الاقتصادي والمعيشي الصعب الذي يـــرزح تحتـــه أبناء المخيم من حيث انعدام لمقومات الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان،يقول بطل الرواية :

" تنسل الأزقة منها لتؤدي إلى طرق أخرى، وأزقة أخرى مغلقة ببيوت معترضة، ومفتوحة على انحدارات وقنوات، تؤدي إلى بعضها وكل القنوات تتسع شتاء تقذف بمياهها في القناة الرئيسية المؤدية إلى الحفرة الكبيرة في حارتنا، تلك الحفرة التي تمتص الشتاء من سماء المخيم، فتتحول إلى بحيرة يغمرها الماء العكر وتختفي المحرقة الإسمنتية التي تقع وسطها[2].

فللمكان في هذه الرواية تأثير فعال في الشخصيات، وقد استثمر الكاتب المكان ليخدم البنية الدرامية، وما يهم في ذلك أن الشخصيات يمكن دراستها من خلال ارتباطهـــا بالمكـــان بحيث يستطيع الباحث تلمس أبرز معالم شخصية ابن المخيم من خلال هـــذه الروايـــة التـــي تتحدث عن واقع حياة عدة من شخصيات الرواية الذين يقطنون أحد المخيمات قبيل حرب عام 1967م مظهرة ملامح حياة أبناء المخيمات وواقع المعاناة التي يعيشونها من خـــلال إبـــراز بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية لأبرز شخصيات هذه الرواية التي بطلهـــا (

---

[1] ناجي، حمال، رواية وقت، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1984 ص18.

[2] السابق، ص 74.

منير الكسار) الذي يقدم سيرة ذاتية يتحدث من خلالها عــن بعــض الــصراعات الداخليــة والخارجية التي تعتريه منذ الطفولة إلى سن التاسعة عشر، سن انتهاء سرده لسيرة حياته، كما ويقدم نماذج حية عن الواقع المعيشي لمخيم من المخيمات التي بنيت على أمل العــودة قبــل نكسة حزيران – بما فيها من صراعات ومخاوف وفقر وعوامل تباغض وضغينة، وبــالعودة إلى بطل الرواية نجده يعاني من عدة أزمات نفسية جراء صراعه مع غريمه التقليدي (نبيــل الجسر) الذي شكل عنده عقدة الرواية والشعور بالنقص جرّاء تجاوزاته المنكرة عليه طفولتــه دون قدرة (منير الكسار) على الرد عليه نظراً للمكانة الاجتماعية التي يتبوؤها (نبيل الجسر) في المخيم، ولما يمثله والده من خطوة مهابة وسلطة لدى أبناء المخيم جميعاً ، مما ساعد في تأزيم نفسية البطل وخوضه صراعاً ذاتياً طويل الأمد معانياً أقسى حالات الخــوف والرعــب وعدم الثقة بالنفس، متجرعاً الإهانات دون التحريك لساكن، وفي داخله ظلّ هــاجس الانتقــام حياً ينمو يوماً بعد يوم لكن دون القدرة على ممارسته واقعياً فكان دائماً يستعيض عنه بأحلام اليقظة والتخيلات البطولية التي يحاول من خلالها تصفية حسابه مع غريمــه لتخفيــف حــدة الشعور بالدونية وعدم القدرة على المواجهة المباشرة آلياً إلا أن هذا التفريغ لم يكن حلاً بقدر ما كان مخدراً يفاقم من مأساة البطل الذي أدرك مع دخوله طور المراهقــة أن عليــه حــسم المسألة، سيما وأنه في هذا السن بدأ يتفاعل اجتماعياً ويطور مفهمه لذاته ويسعى إلى تنميتهــا من خلال المشاركة في " مركز شباب المخيم " الذي كان مكاناً أعاد صقل ذاته فيه ووجد فيه أيضاً حيزاً متناسباً لإثباتها من خلال المشاركة في معظم النشاطات التي ينظمهــا المركــز، وتقدم الرواية أيضاً شخصية (شهاب) ابن أحد شهداء الحرب مع إســرائيل والــذي يمثــل شخصية المتمرد على الظلم المناهض للتقسيم الاجتماعي القائم على الطبقة والمناضل الــذي

يحلم باستعادة الأرض والمساهمة في التحرير والذي يعدّه (منيــر الكــسار) مثــالاً أعلــى وأنموذجا يحتذى به، لكن منير يبقى دونه من ناحية الجانب الإثباتي لشخصيته.

وتدور الأحداث مفضية إلى المواجهة الحتمية التي خطط لها (منير الكــسار) منــذ سنين مع (نبيل الجسر) لتنتهي برد اعتبار (منير) لنفسه بضربة (لنبيل الجسر) ودخوله المستشفى إثر ذلك ، لتتشابك الأحداث من خلال تصارع (أبو نبيل الجسر) والــشاروط مــع والد (منير) وضرب الشاروط له ورحيل عائلة (أبو نبيل الجسر) من المخيم جراء انــدلاع الحرب التي تعد بدايتها نهاية للصراع الدائر في الرواية "" وإذا كانت الرواية قد جمعت بــين بداية الحرب ونهاية الجسر فإنها توائم بين النهايتين السياسية والاجتماعية، فقد انتهت الأحداث بهزيمة سياسية، فيما كان النصر الاجتماعي الذي تنبأت به الرواية أقرب إلى الوهم منه إلــى الأحلام التي تقوم على حدوس الواقع "[1].

وبما أن رواية (وقت) تعد من رواية السير الذاتية فإنها تمثل انموذجاً لما يجــب أن يكون عليه هذا النوع من الرواية من حيث ارتكاز هذا النوع بكامله على الطبيعة الاجتماعيــة والشخصية المحددة عن البطل بالاتفاق مع ما يهب إليه باختين في تبنيه مرتكــزات محــور رواية السيرة الذاتية يقول:

" إن مثل هذا المحور يرتكز بكامله على الطبيعة الاجتماعية والشخصية المحددة عن البطل وعلى تجسيده الحياتي الكامل ويجب أن تكون هناك وحدة عضوية عميقة تــربط بــين

---

[1] السعافين، إبراهيم ،الرواية في الأردن، ص 108.

شخصية البطل ومحور حياته، على هذه الوحدة بالذات ترتكز رواية السيرة الذاتية. إن كلاً من البطل وعالمه الموضوعي يجب أن يكونا قطعة واحدة "[1].

وبالاستناد إلى مقولة باختين يمكن القول إن بطل الرواية (منيـر) يعـد الترجمـة الفعلية لهذه المقولة من خلال ما تضمنته الرواية من اتحاد عضوي بين شخـصيته والعـالم الموضوعي بتفاعلاته الاجتماعية والنفسية المتعلقة بالشخصيات التي لم تنفك تلازم شخـصية البطل على مدار أحداث الرواية مشكلة بؤرة التغيّر والتثوير لشخصيته.

ويقدم الروائي شخصياته بصورة تبعث على مدى أهميتها بالنسبة إليه وتأثيرها عليـه بحيث يفتتح روايته بتقديم (نبيل الجسر) الشخصية الأبرز وذات الأثر الأكبر في شخـصية البطل بحيث تدور معظم الرواية في كيفية تصفية الحساب معها، ومن ثم ينتقـل إلـى ذكـر شخصية (شهاب) وهي الشخصية المثال بالنسبة للبطل (الراوي) الذي طالما حاول الاقتداء بها إلّا أنه لم يستطع مجاراتها واكتفى عند حدود الإعجاب بها، ومن ثم يعرض لشخـصية (فتحية) التي ستلعب دوراً مركزياً في طريق حل عقدة (منير الكسار) في مواجهة (نبيـل الجسر) كما يعرض لشخصية (أم فتحية) التي تلعب دوراً هاماً في التشكيل الذهني والخيالي لشخصية البطل من خلال الحكايات البطولية التي كانت تسردها على مسامعه عنـدما كـان يزورها، ثم يقدم الراوي شخصية (حتوم الممرض) وابنته (كفاية) ومن ثم يخصص فصلاً مستقلاً لشخصية (أبو نبيل الجسر) والشاروط " كما يوضح أبرز معالم شخصية (أبي عباد

---

[1] باختين، ميخائيل، شعرية ديستوفيسكي، ت، التكريني، جميل نصيف، دار توبقال للنشر، بغداد، الدار البيضاء، ط3، 1986، ص 47.

العجوز) وأثناء حديثه عن الماضي (طفولة الراوي) يبدأ الكشف عن الشخصيات بالتفصيل من خلال ارتباطها بالحدث والمكان والزمان والتي تسهم جميعها في بناء الشخصيات" [(1)].

تتسم شخصية البطل منذ البداية التي انتهجها الروائي بصبغة استرجاعية بالصراع الداخلي المتمثل بجرح نرجسي عميق أصابه في كرامته جرّاء اعتداءات (نبيل الجسر) عليه دون القدرة على الرد بحيث يفتح الروائي روايته على لسان البطل بانتهاء هذه السطوة التي مارسها (نبيل الجسر) عليه:

"ها آنذا أكبر، أخرج عن نطاق سيفك الذي انثلم حين لم
يستطع شق عظامي! .هي البداية يا نبيل،وأنا الآن أكبر،
أودع أيام الخوف منك في محرقة حارتنا،ثمَّ اخرج باحثاً
عن أيام جديدة أُصلْب على مفارقها هياكل هزائمي أمامك
أصلبها على جدران البيوت الطينية وشبابيكها المشرعة
ومستنقعات الوحل والضفادع)"[(2)]

يضع الروائي القارئ أمام نهاية الصراع الذي أسفر عن انتصار (منير الكسار) لكنهِ سرعان ما ينقلنا إلى دواخل نفسية البطل من خلال المونولوج الداخلي الذي يجريه على لسانه ليتضح عمق تأثير (نبيل الجسر) السلبي في شخصيته التي ظلت في إساره، وكلما أقدمت على خطوة تحاول فيها إثبات وجودها باءت بالفشل أو التجاهل إلى أن تم حسم الصراع مع نبيل الجسر محور تحولات شخصية البطل /الراوي :

---

(1) يعقوب، ناصر حسن عيد، التجربة الروائية عند جمال ناجي، ص 82.

(2) ناجي، جمال، وقت ، ص 7.

" **أيها الهاجس الذي يطوف الحارات والشوارع و عرصات الذاكرة** " [1].

وأبرز ما تتميز به شخصية (منير الكسار) التردد والارجاء والتعويل على المستقبل لحل أزمته الداخليّة التي انعكست بسلسلة من الاخفاقات والتسويفات الدالة علـى عـدم الثقـة بالنفس وانشغالها بجرحها المركزي المتعلق بسطوة (نبيل الجسر) فها هو قد حاول مواجهته فأخفق (حاول أن ينقذ أم فتحية من الغرق فأخفق، في أحاديث الكبـار ونقاشـهم يخـرج مهزوماً حاول البوح بمشاعره لفتحيه لكنه لم يستطع، افتتحه شهاب بفكـرة الانـضمام إلـى التنظيم لكنّه تردد)[2].

ولهذه الشخصية عوامل ومؤثرات أسهمت في تشكيلها على تلك الهيئـة الارتكاسـية تتعلق بالواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي نبعت هذه الشخصية منه، فقد نشأ في بيئة تفتقـر لمقومات الحياة الكريمة لاجئاً، يجني ثمار هزيمة لم يشارك فيها تحت واقع تسوده الأمـراض الاجتماعية ويتفشى فيه الجهل[3]المحيل إلى الخوف والانصياع إلى الأمر الواقع الذي جعل من شخصية (أبو نبيل الجسر) شخصية نافذة لدى من هم يعدون أمناء على أبناء المخيم مثل شخصية (مدير المدرسة و رئيس المخفر)[4]، مما انعكس على أبناء المخيم من الطبقـة الكادحة الفقيرة التي كانت تهابه وتخاف منه[5]، حتى عندما يتعلق الأمر بالتعدي على أبـسط حقوقهم لا تجد أية مقاومة منهم[6]، وبالنظر إلى العالم الداخلي الذي يحيط بـ (منير الكسار)

---

(1) ناجي، جمال، وقت ، ص 8.

(2) حداد ، نبيل ، الرواية في الأردن في الثمانينات ، أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " ، م7،ع2 1990، ص 80 .

(3) ناجي، جمال، وقت ، ص 73.

(4) السابق، ص60، 190.

(5) نفسه ،ص 70.

(6) ينظر نفسه، ص 67 – 68.

نجد أن واقعه الأسري تكتنفه بعض الاشكاليات المتعلقة بالسلطة الأبوية ومدى تأثيرها على التكوين النفسي لشخصيته يقول:

" ... كلما تعرضت للضرب أو التوبيخ،كبر هذا الإحساس
في دخيلتي بل صرت أخفي الكثير من الأحداث التي تمر
في حياتي عن أبي وأحياناً عن أمي التي أطلقت عليّ لقب
العميق)[1].

ففي ظل غياب التفاهم والعلاقة المبنية على أساس المصارحة والمكاشفة وتنامي الاحساس بثقل السلطة الأبوية وتعديها على العالم الخاص للطفل من طور تشكيل رؤيته الخاصة تنزوي شخصيته وتَنْكُص نحو التأمل الذاتي للتفكير في المشاكل التي تواجهها دون اللجوء إلى الأهل لشعوره بأنه مقصى ولا قيمة له، ولعلّ هذه الطريقة في التنشئة كانت عاملاً بارزاً في تأخير لحظة حسم الصراع مع (نبيل الجسر) خوفاً من اهتزاز الصورة النمطية التي تفرضها الثقافة الأبوية على الأبناء من حيث كونهم أبطالاً عليهم ألا ينهزموا دون تعزيز هذه الصورة أو رفدها بمقوماتها مما يزيد الشرخ بين الواقع النفسيّ والموضوعيّ في شخصية البطل/ الطفل، يقول منير :

" فكرت ذات مرة بأن أشكو نبيل الجسر لوالدي أو لأبي
فتحية لكن حرجي سيزداد في هذه الحالة خصوصاً أمام
أم فتحية التي أحرص كثيراً على أن أظل في نظرها منيراً
الذي ترافقه فتحية لتحتمي به من أولاد الحارات!"[2].

---

[1] ناجي، جمال، وقت ، ص 14.
[2] السابق ، ص37.

وعليه فإنَّ شخصية (منير الكسار) تقدّم شهادة حية عن تأثير العامل الاجتماعي في التكوين النفسي للشخصية الروائية سيما أن الرواية " تزدهر وتبلغ أوجها في تلك الفترات التي يتحول فيها المجتمع وخاصة تلك التحولات التي يقع الانسان فيها فريسة للحيرة والتمزق بين قيمه ومبادئه الراسخة داخله، وما يحدث لديه من متغيرات تزلزل كيانه وتماسكه "[(1)].

وقد كانت هذه الرواية مسرحاً للتحولات التي أسهمت في تحريك عجلة الأحداث وتغيير مساق الشخصيات وقناعاتهم وأهدافهم، ولم تكن شخصية(منير الكسار)وحدها التي تـأثرت وأثـرت بالواقع، فنجد شخصية (شهاب)الذي نشأ يتيماً دون أن يمارس سلطته عليه فبدت علائم تمرده مبكراً من خلال رفضه الامتثال لما امتثل غيره له من اذعان وتسليم بنفوذ (نبيل الجسر)بـل وكان هو الوحيد القادر على ايقافه عند حده من خلال الاشتباك المباشر معه وتأديبه[(2)].

كما سلطت الرواية الضوء على بعض الشخصيات الاجتماعية التـي تـشكلت وفـق موقعها وبيئتها وعلاقتها بالمكان حيث نجد شخصية (أم فتحية) التي تمثل الذاكرة الجمعيـة الثقافية من خلال ما سرده ليلاً على الأولاد من حكايات وما تقدمـه مـن تـأويلات لـبعض الأحداث تعكس البعد الاسطوري التي تصدر عنه[(3)]، كما يقدم الروائي شخصية أبي عباد الذي يتم توظيفه رمزياً، لإدانة الغدر والمطالبة بإرجاع الحقوق لأصـحابها، ومقاومـة الظلـم[(4)]، بعبارته الشهيرة التي تدل على رفضه شخصية أبي نبيل الجسر وما يمتلكه مـن سـلطةٍ .. " **لعنة الله على ابو نبيل الجسر وعلى شاروطه**" [(5)]، وتقدم الرواية شخصية أسـهمت الثقافـة

---

(1) عبدالوهاب، شريف عبد المنعم، المجتمع المصري في الرواية من (1976 – 1994)، دراسة في علم اجتماع الرواية، ص 177.

(2) ناجي، جمال، وقت ، ص 30 – 59.

(3) ينظر السابق، ص 11 – 12.

(4) نفسه، ص 22، 23، 183، 187، 189.

(5) نفسه، ص24.

الاجتماعية الذكورية في تحوّلات جذرية عليها من حيث تدهور وضعها الاجتماعي والانساني وهي شخصية (حتوم) الممرض الذي أدى عدم انجابه للأولاد الذكور إلى تطليــق زوجتــه وخروجه عن المألوف الاجتماعي بمعاقرة الخمر و تحالفه مع (أبي نبيل الجــسر)[1]، أمــا ابنته كفايه فتعكس الجانب الخفي من شخصية (منير الكسار) وتلك الازدواجية التي كــان يعيشها من حيث مشاعره وعواطفه فهو يحب فتحية حباً طاهراً شريفاً يظهــر مــن خــلال مشاعره السامية، أما كفايه فهي مصدر الإغواء، وهي الطريق إلــى اكتــشاف رجولتــه[2]، ومكامن الشهوة لديه مما يعكس واقعاً ثقافياً اجتماعياً آخر أسهم في هذا الكبت الجنسي الــذي حاول اشباعه من خلال وسائل تفريغية والسبب في ذلك يرجع إلى عدم وجود ثقافة جنــسية واعية توضح للمراهقين ما يمرون به من تغيرات جنسية ونفسية.

ومن النماذج الشعبية المقدمة في الرواية شخصية (أبو سليم الفران) الــذي يتلقــى الانتقادات المتواترة على اهتمام بنظافة بيته وسلوكيات زوجته التي تعــد خارقــة للمنظومــة الاجتماعية من خلال خروجها كاشفة لرأسها[3].

كما يقدم الكاتب شخصية تمثل الجشع والجانــب الاســتغلالي والاقتــصادي، وهــي شخصية (أبو شنب) الذي ترك أثراً في نفسية الأطفال الذين كانوا يربطون كثمن على مــا تأخروا به من وقت في الدرجات الهوائية خاصته.

كما تقدم شخصية أبو خالد الدكنجي البخيل الذي يمثل شخصية امتثالية غير فاعلة وسلبية.

أما بالنسبة لشخصية (أبو نبيل الجسر) فيتم التركيز فيها على البعد الخارجي[4]، في وصفه

---

(1) ناجي، جمال، وقت ، ص 28، 29، 76، 140.

(2) ينظر السابق، ص 76، 77.

(3) نفسه، ص 18- 19.

(4) نفسه، ص 57.

والذي يخدم تكريس صورته التي يتم تقديمها من خلال بعدها الـداخلي، فهـو مثـال للظلـم الاجتماعي والسلطة المشبوهة المتآمرة على آمال وطموحات أبناء المخيم كما يتم تقديم صور من سطوته ومدى قوة تأثيره وامتثال الآخرين له[1]. وتقـديم الروايـة شخـصية الـشاروط الغامضة التي تعد المعاون والذراع الحديدي لسلطة (أبو نبيل الجسر).

ولهاتين الشخصيتين أبعاد عديدة أسهمت في تحريك الأحداث الدرامية والتأثير علـى مسار الشخصيات، بالإضافة إلى حمولتها الرمزية التي تجـسد التـآمر والنفعيـة المطلقـة واللامبدئية من حيث مقولة أبو نبيل الشهيرة :

" أنا عندي مبدأ في الحياة لا أحيد عنه

فالذي يتزوج أمي يصير عمي"[2].

فهذه الشخصية تعد أنموذجا للشر المتجذر الذي يقاوم كل المحاولات لـوأده فيعـصي عليها، إذ إنّه لم يمت إذا مات معاونه الشاروط في نهاية الرواية بحيث جاءت كلمات (أبـو منير الكسار) محملة بالأسى واستشراف المستقبل المعتم عندما قال :

" لكن الجسر .... الجسر ما مات "[3].

كشفت هذه الرواية الستار عن واقع حياة اللاجئين قبيل وقوع حـرب عـام 1967م، ناقلة صورة حية عن معاناتهم والأوضاع المعيشية التي يعانونها، كما تطرقـت للعديـد مـن الظواهر الاجتماعية والثقافية التي تحكم الفضاء الاجتماعي لأبناء المخيم، وتعد الشخـصيات التي قدمتها الرواية نماذج على تأثير الواقع الاجتماعي على مسارها من خـلال الـصراعات الدائرة بينهم والتي يفرضها واقعهم عليهم، انتهج الكاتب المنهج الواقعي ليصور واقعاً معاشـاً

---

(1) ناجي، جمال، وقت ، ص 63.

(2) السابق، ص 171.

(3) نفسه، ص 207.

لأجدر الفئات الاجتماعية في مجتمعنا الأردني على لسان أحد أبناء تلك الفئة التي تمثل جـيلاً كاملاً نشأ في ظروف مشابه وأفرز معه العديد من المشكلات والصراعات والأزمات النفسية والفكرية والاجتماعية. وقد وُفِقَّ المؤلف باستخدام تقنيات سردية أغنت المـضمون الـدلالي والمكاني للرواية بحيث تم استخدام تقنية الاسترجاع، وزاوج بين استخدام ضـمير المـتكلم والغائب،بينما أكثر من المناجاة والمونولوج الداخلي الذي أضاء العديد من جوانب الشخصية/ البطل من الناحية الفنية و الفكرية بالإضافة إلى استخدامه عدة تقنيات سردية لإثارة التـشويق من مثل تقنية الاستباق[1]، ويتجلى ذلك في:

" أين ذهبت في ذلك الصباح الحزيراني الحار حيث

انطلق من جنوب المخيم ذلك الزمور "[2].

بالإضافة إلى أن الروائي لم يتفرّد في تقديم رؤيته الخاصة للشخصيات وإنما فتح المجال للشخصيات لتعبر عن وجهات نظرها في غيرها من الشخصيات بحيـث يـتم تقـديم صورة أوفى وأكثر اكتمالاً عنها.

كما أنّ الرواية حفلت باستخدام تقنيات أثرتها فنياً وكشفت عن جوانـب دفينـة فـي الشخصيات ونقلت صورة واقعية من حيث إنها " حاولت أن تؤرخ لفترة مهمـة مـن حيـاة المخيم: الكفاح والظلم، المآسي الأليمة والآمال الرائعة. ولقد آل المنظرون الذين حملوا أحلاماً كبيرة إلى الشعور بإحباطات جديدة قاسيه"[3].

---

[1] هو مخالفة لسير زمن السرد يقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته)، زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 15.

[2] ناجي، جمال، وقت ، ص 15.

[3] السعافين، إبراهيم، الرواية في الأردن، ص 108.

الفصل الثالث

شخصية الغجري

تجري أحداث رواية " مخلفات الزوابع الأخيرة " للروائي "[1] جمال ناجي " فــي وادٍ يتصوره الراوي في مخيلته بأنه موحش مهجور وغير ذي زرعٍ، وبمرور الــزمن يتطــور المكان ويكتظ بالسكان والبيوت وينشئ به الكاتب حياة جديدة بمفهومها المدني، يتألف الوادي الجديد الذي يسمى فيما بعد " بوادي الغجر " من فئتين اجتماعيتين الأولى: الغجــر والثانيــة: الفلاحين وهم كل سكان الوادي من غير الغجر، ونتابع في هذا العمل ثلاثة أجيال، وتــسهيلاً للرصد والمتابعة فسوف نسمي الجيل باسم أبرز أبطاله وهكذا نعثر على، جيل (عثمــان أبــو ركبة وسبلو) وجيل (حامد أبو ركبة) وجيل (سلمان أبو ركبة وأخوه جبر، نزار أبو خنجر، عرقي وهاجر)، ويرصد الكاتب تطور المكان بتطور الزمن، ويرصد العــادات والعلاقــات الاجتماعية والممارسات الاقتصادية لكل بنية منهم.

يقوم الروائي برصد الشخصيات وعلاقاتها بالمكان الذي يعد المحرك الرئيس في سير أحداث الرواية، ويكشف لنا آلام الناس وآمالهم وتطلعاتهم إلى المستقبل، ويمثل كذلك الحيــاة ويصورها في ثنائياتها المتناقضة: الخير والشر، الفضيلة والرذيلة، الصدق والكــذب، الهنــاء والشقاء؛ لذلك يصف النقاد رواية المخلفات بأنها من الروايات الاجتماعية[2].

" على أن من الضروري أن نشير إلى أن الرواية قد احتفظت للشخــصية الغجريــة ببعض المزايا؛ فالشخصية الغجرية تبدو أكثر انفتاحاً على الحياة وأشد إقبالاً عليهــا بعفويــة وبساطة والرواية حافلة بتصوير أفراح الغجر التي كانوا يقيمونها بمناسبة وبغير مناسبة، كذلك

---

[1] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان: بيروت، 1988 .

[2] ينظر: حداد، نبيل، الكتابة بأوجاع الحاضر، منشورات أمانة عمان، الأردن: عمــان، 2003 ، ص 107، وينظر: الأزرعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيــروت، 1997 ، ص 225 .

تورد الرواية كثيراً من مناقشاتهم ومنازعاتهم وتحاول أن تفلسفها وتحلل طبيعتها إزاء ما لدى الفلاحين " [1].

ويكشف هذا المشهد طبيعة الحياة التي يعيشها هؤلاء الغجر وفلسفتهم ، تقول الرواية :

" ربما للغجر فلسفة خاصة في إثارة الفضائح وفي الاقتتال! ذلك أن الفضائح المعلنة قد تشكل ستاراً لما يريد الغجر اخفاءه من أسرارهم العميقة التي يجزم الفلاحون بوجودها إذ ما معنى أن يعمد بعضهم إلى التحادث بلغتهم الخاصة في حضرة الفلاحين؟ما معنى استخدامهم للغة الفلاحين أثناء اقتتالهم بالذات؟ هل يريدون اطلاعنا على أسرارهم؟ يتساءل الفلاحون ثم يجيبون: المسألة أبعد من هذا، إنهم يريدون إخفاء أسرارهم، ودوافع تصرفاتهم الغريبة وراء فضائحهم المفتعلة تلك، وهل يعقل أن يتقاتلون بهذه الوحشية من أجل ذبيحة؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها" [2]

وحتى لا يجعل الأمور مبهمة ومغلقة يتدخل الروائي في تفسير ما يحدث عند الغجر ولصالحهم [3]، تكشف الرواية هذا، فنقرأ:

" لكن الحقيقة التي لم يدركها الفلاحون إلا بعد سنوات طويلة من احتكاكهم بالغجر هي أن الإكثار من الفضائح

---

[1] حداد، نبيل، الكتابة بأوجاع الحاضر، ص 108.

[2] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص 133_134 .

[3] حداد، نبيل، الكتابة بأوجاع الحاضر، ص 108 .

سيحولها إلى أمور لا تستحق التوقف، وسيفقد

تلك الفضائح صفة التكتم وضرورة التَّفَكُّر العقيم

في إخفائها،كما أن الإكثار من الإشكالات، سيحولها

إلى جزء من التقاليد اليومية العادية للغجر، مما

سيعطيهم مزيداً من حرية الحركة والتصرف والقول!

هكذا انتزع الغجر هوامش حريتهم في غابة الفلاحين!" [(1)].

ويقرر الروائي بأن " **عالم الفلاحين في الوادي مغلق و تاريخه مغلــق !"** [(2)] وبــأن الغجر لا يعرفون عن الفلاحين " **غير ما تراه عيونهم وتسمعه آذانهم مصادفة ...الفلاحون لا ينفلون أسرارهم حينما يقتتلون** " [(3)].

ومن أجل إبراز التباين الاجتماعي يفصل بينهم في مكان الإقامة ؛ لتظهر بعــد ذلــك الفروقات بالعادات والتقاليد، فيقيم الغجر بيوتهم بالقرب من بيت " ســبلو الغجــري " ويقــيم الفلاحون بيوتهم بالقرب من بيت " عثمان أبو ركبة "، ويصل الأمر بالروائي لإظهار التباين بينهم بأن يجعل الفلاحين يقومون بطلاء بيوتهم بلون متشابه والغجر بلون مختلف؛ " وبــذلك يحاول الكاتب أن يقيم تقابلاً بين الغجري والفلاح وفصلاً في الملامح النفسية والجسدية لكــل منهما ويبدو أنه تقابل أقرب إلى الناحية النظرية منه إلى التقابــل الحقيقــي " [(4)] إلا أن هــذا التقابل لا يقوم على أساس عادل، فقام باختيار النماذج الإيجابية من الغجــر ونقيــضها مــن الفلاحين .

---

(1) ناجي، جمال،الأعمال الروائية،وزارة الثقافة،عمان، 2003م، ص 112-113.

(2) السابق، ص112 .

(3) نفسه، ص 112.

(4) السعافين، إبراهيم، الرواية في الأردن، ص 116.

ومن مظاهر التقابل التي يسردها لنا طبيعة العلاقة بين الرجل والمــرأة فــي المجتمــع الفلاحي و المجتمع الغجري، فالشخصيات النسائية التي يقدمها لنـــا فـــي مجتمـــع الفلاحـــين شخصيات ثابتة؛ ليؤكد بأن المرأة الفلاحة مستسلمة للرجل الذي هو مصدر السطوة ولا تملك المرأة معه أن تثور في وجهه، وإن دورها لا يتجاوز أن يكون أداة تنفيذ للأوامر والتعليمـــات التي يصدرها الرجل فعلاقة " سلمان " بزوجته " سارة " امتداداً لعلاقة أبيه بأمه التي لم تخرج عن نطاق حدودها كمربية للأولاد والقيام بأعمال البيت، يقول الراوي:

" هذا ما نفذه أيضاً سلمان أثناء تعامله مع زوجته
سارة فقد أصبحت منفذة لتعليماته الصارمة يا سارة
اعملي شاي وتقوم سارة، يا سارة الملح قليل في
الطعام وتعتذر سارة، هات الحذاء الأسود وتفط باحثة
عن الحذاء بسرعة وتسرع سارة، لا تقعدي مع العجائز "[(1)].

فكما ورث " سلمان أبو ركبة " سطوته على سكان الوادي من جده وأبيه فإن علاقته بزوجته تأخذ المسار نفسه الذي جرى عليه أبيه وجده من قبل.

ولا يختلف " نزار أبو خنجر " من مجتمع الفلاحين عن " سليمان أبو ركبة "، فنـــراه يمارس أسلوب القمع و الضرب على زوجته و يخونها مع " هاجار الغجريـــة " التـــي يقـــوم باستغلالها جنسياً و مادياً على اعتبارها مصدر جلب للغجـــر لارتيـــاد النوفوتيـــه وتـــرويج بضاعته[(2)].

[(1)] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص 69 .

[(2)] ينظر: يعقوب، ناصر حسن، التجربة الروائية عند جمال ناجي، ص 20.

أما العلاقة الاجتماعية القائمة بين الرجل والمرأة الغجرية فتتسم ببعض الصفات الإيجابية مثل: الوفاء والحب الحقيقي الصادق الذي يمثله سبلو الذي لم يتزوج بعد زوجته " بهاج " ولم يخنها قبل أو بعد وفاتها.

وتظهر المرأة الغجرية مؤثرة بسير الأحداث خِلافاً للمرأة الفلاحة، فالغجرية دائمة الحضور في ذهن الراوي، فهاجر تعمل في بيع الحديد ومن ثم في النوفوتيه؛ لإعالة والدها ولبناء بيتها، كما وتؤثر " هاجار " بمسار شخصيتين روائيتين " جبر أبو ركبة " و "عرقي الغجرية "،ومثلها "سمار" زوجة " كياز " التي تقوم بالتسول لجمع المال اللازم لشراء الأرض.

ويكشف لنا الروائي من خلال شخصياته الغجرية مظاهر الحياة العصرية التي قضت على جوانب مهمة من حياة الغجر وتقاليدهم و أزيائهم، و يظهر ذلك جلياً بشخصيتي " عرقي وهاجار "، ويشير الروائي إلى أن العادات والتقاليد الخاصة بهم حدّت من اندماج البعض في المجتمع، ويُرجِع الكاتب قلة اختلاط الغجر بمن حولهم لطبيعة حياتهم المعتمدة على التنقل والترحال، فالعديد منهم باعوا بيوتهم وعادوا إلى عدم الاستقرار المكاني، مما يؤكد بأن المجتمع لم يرفضهم وإنما ثقافتهم وعدم تشربهم للقيم الثقافية والاجتماعية السائدة تحد من اندماجهم بالمجتمع المحيط بهم .

لعل ما يميز هذه الرواية جدة موضوعها الذي يطرح من خلاله الروائي جوهر حياة الغجر بعيداً عن الصور النمطية حولهم مما يدفعه للغوص قي ميثولوجيا الغجر ونشأتهم وتشتتهم منذ قدومهم من الهند إلى أن يسهموا في تكوين الوادي الجديد؛ لذلك عدّ النقاد أن رواية " مخلفات الزوابع الأخيرة " أفضل ما كتبه جمال ناجي حتى عام 1988 .

يبتدئ " جمال ناجي " أحداث روايته بسابقة خطيرة تفرد بها " سبلو الغجري " وهي انسلاخه و زوجته وابنتهما عن جماعة الغجر عقب هزيمته على يد " كياز الغجري " الذي

كان يسترق النظر إلى زوجته " بهاج " من ثقوب خيمتها فينتقل إلـى وادٍ مـوحش يقطنـه " عثمان أبو ركبة " وعائلته ليكونوا مقدمة للحشود التي اتخذت من الوادي موطناً لهـا، ومـع مرور الزمن يشكلون مجتمعاً مدنياً قادراً على التعايش رغم اختلاف الثقافات بين سكانه.

وعندما وفدت أربع أسر من الغجر يفرض " عثمان أبو ركبة " سطوته على الأرض الذي ادعى ملكيته لها، ويتورث عنه هذه السطوة ابنه الأصغر " حامد " الذي يتبرع بقطعـة أرض ليقيموا عليها مسجداً، ويتم بعهده توصيل الكهرباء للبيوت والشوارع ومد أنابيب المياه، وافتتاح المحلات التجارية، ويتابع " سلمان أبو ركبة " خطى والده ويفرض بشخصيته النافـذة سطوته على سكان الوادي.

وفي آواخر عهد " حامد أبو ركبة " تنقلب الأمور رأساً على عقب عند ظهور مالـك الأرض الحقيقي " معروف المعروف " ليكون الفاجعة التي هدت على رأس سـكان الـوادي، والتي طالما تخوفوا منها فطالبهم ثمن الأرض بسعرها الحالي وإلا سيمارس سطوته المتمثلـه بهدم البيوت أو قطع الكهرباء والماء عنهم، وفي هذه الأثناء يذهب حامد وابنه سلمان للتفاوض معه غير أن محاولاتهم تبوء بالفشل، وبعد وفاة حامد يلجأ " نزار أبو ركبة وسـلمان " لعقـد صفقة معه، وتتمثل هذه الصفقة بأن يدفع لهم نسبة مقابل اقناع الناس بدفع ثمن الأرض، وبعد تفكير عميق يقرر " جبر أبو ركبة " شقيق " سلمان " الدخول في معمعة ما يجري من أحداث على أرض " وادي الغجر " لصالح سكانه، فيعلقون أمالهم عليه معتقدين أنه المخلـص مـن سطوة " نزار وسلمان ومعروف "، فيحثهم على الصبر والصمود، وسرعان مـا سينـسحب عندما تبوء محاولاته بالفشل، ويراقب ما يحدث على أرض الوادي من خلال الصحف.

إنَّ اختلاف العرق والثقافة لم يثنِ أهله من الوقوف في وجه الظلم الذي يمـارس عليهم من الداخل والخارج، ولم يثنهم عن الوقوف في وجه كل إنسان يحاول أن ينتزع مـنهم

أحلامهم المنشودة بالاستقرار مهما كانت سطوته، فمنهم من يرفض الرحيل ودفع ثمن الأرض حتى لو هدموا البيت عليهم، ومنهم من قام بحرق الجرافات ليعلنوا رفضهم وتمـــردهم علـــى الظلم، والأقلية منهم يقرر الرحيل، وتختلف وجهات النظر والمواقف وردود الفعل حول مـــا يجري، وهذا ما نلاحظه من خلال تحليل الشخصيات الأكثر حضوراً.

إن أول شخصية تواجهنا عند قراءة الرواية " سبلو الغجري " أو " سبلو الفأر أو ســـبلو قداح" الذي ينحدر من أسرة تنقلت بين الهند وايران، وشمال العراق وبلاد الشام، وقيل أن أحد أجداده فُسخ عن تلك الأسرة واتجه إلى مصر [1] .

يصور لنا الروائي سبلو بأنه " **قصير القامة، ضامر الجسم، خفيف الحركـــة، لكـــن مِشيته تثير الإهتمام، ذلك لأن رأسه يظل غاطساً بين كتفيه أثناء سيره ...**" [2] وأما نفسيته فتبدو مضطربة تائهة عاجزة عن أي عمل غير شرب العرق الذي هو أكبـــر همـــه، وتبـــدو شخصيته لدى القارئ من حيث البعد النفسي مكشوفة من خلال السرد والحـــوار والمواقـــف والحوادث، فيصور المواقف التي أطاحت به والمتمثلة بهزيمته أمام " كياز الغجري "، وسرقة أغنامه، ومقتل زوجته على يد اللصوص، بأنها ولدت لديه الـــشعور بالهزيمـــة والانكـــسار، وشكلت كذلك شرخا كبيراً في نفسه لم يحتمله فينطوي بنفسه عن الآخرين ويبني لنفسه سجناً يعيش فيه مع ذاته وماضيه المرير الذي يثبت نفسه عنده، وتحديداً عند نقطة غياب زوجته " بهاج " منتظراً الجزء الثاني من مقولة العجوز:" تموتان مقتولين "، هو و زوجته هاجار، فبقي هاجس تلك النبوءة يلاحقه في كل مكان ولم يستطع اقتلاعه، يقول الراوي :

" **كان الوادي ممراً للرياح المحملة بالحروف المبهمة،**

---

[1] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص 15 .

[2] السابق، ص15 .

وبالصفير الكوني الذي يذكره بنبوءة العجوز " [1].

ووصل به الحال أنه أحس بالهزيمة عندما انهزم ديكه المزركش أمام ديك عثمان أبو ركبة وبقي ذلك " **الإحساس ماثلاً في ذهنه طيلة الأيام التي اعتاد خلالها ديك أبو ركبة غزو دجاجاته الست، وحينما توالت غزوات ذلك الديك، تخلص من دجاجاته، ومن ديكه الهارب المهزوم** " [2].

ويتمثل موقف " سبلو من التبليغ _ الذي بعث بخصوص ثمن الأرض _ أنه رفض الرحيل ورفض دفع ثمن الأرض كذلك، قيل إنه قام وابنته "هاجار" بحرق الجرافات .

وأما " كياز " فيتمتع بالفروسية والبنية القومية التي مكنته من القيام بأعماله الشاقة بالحديد، ومن هزم " سبلو " الذي أخذ منه "بهاج " المرأة التي أحبها، ولم يستطع كياز تخيل فكرة رفضها له أو أن تزف إلى أحد غيره، و لأجل " بهاج " وللإلحاح زوجته " سمار " عليه يقرر تطليق حياة الترحال والانتقال إلى ذلك الوادي الموحش عندما استحسن " كياز " وزوجته فكرة تكوين البيت عندما قدم وزوجته إلى سبلو، يقول الراوي:

" **جربا الإقامة في ذلك البيت، وشاهدا كيف توضع الأشياء**

داخل البيت في أماكن ثابته، وكيف لا يطفئ الهواء السراج

كيف تظل الأواني والأمتعة نظيفة بمعزل عن التراب والغبار،

وكيف يناما المرء آمناً غير عابئ بمخلوقات الليل ورياحه " [3].

ولعلاقة " كياز الغجري " بزوجته وابنه " عرقي " طابع خاص يقوم على القمع والضرب على أهون الأمور، إلا أن هذه الظاهرة تضمحل وتتلاشى عندما يكبر نتيجة فقدانه

---

[1] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة ، ص 56 .

[2] ناجي، جمال،الأعمال الروائية، ص 19.

[3] السابق، ص 22 .

القدرة الجنسية التي كانت " سمار" تستحضرها من خلال البعد الجسمي لتطفئ غضبه المدمر وتوتره السريع، يقول الراوي :

" ... لكن زوجته سمار تعلمت بمرور السنين كيف وأين تذهب بشحنات غضبه وسموم غضبه، فهي تشعل له سيجارة على الفور، ثم تشمر ثوبها إلى فوق ركبتها، وتبدأ بكنس ما أتلفه زوجها متعمدةً الانحناء أمامه، ليرى وركيها اللذين يشعلان فحولته، فيفجّ كيانه الفهدي الوثّاب ...لا بد من سماع أنينها الأنثوي الذي يزيد ذكورته اشتعالاً، ويحيلها إلى هدير حيواني مسحوب ... غير أن كياز، بعد أن غزت جسمه دلائل الكبر، قلل من مواقعاته لزوجته ... وحينما تأكد لها بروده وبطؤه تجرأت على مخالفة الكثير من تعليماته الصارمة" [1].

ويتمثل موقفه من التبليغ برفضه دفع ثمن الأرض حتى لو كانت النتيجة هدم البيت عليه وعلى عياله، ويرفض الرحيل، ويرفض كذلك أن تعمل زوجته بالتسول، ولرفضها تلبية أوامره بشأن العمل يضطر لقتلها ويدخل السجن كذلك [2].

ويسلط الروائي الضوء على شخصية " هاجار " من الخارج والداخل بجميع مراحل حياتها فبدت قريبة من القارئ الذي تمكن من معرفة أدق التفاصيل المتعلقة بها وبخلجات

---

(1) ناجي، جمال،الأعمال الروائية،ص69.

(2) ينظر السابق، ص239-240.

نفسها، فيصورها بأنها تنحرف لأوهى الأسباب فتبدو شهوانية تلهث وراء المتعة أكثر من كونها ضحية واقع اقتصادي أو اجتماعي طاحن، همها الكبير مناشدة الرجل الذي هو عندها مسلمة لا بد منها؛ ليلتقي بها جسدياً، فرغم معرفتها بالفروق العرقية والثقافية بينها وبين " جبر أبو ركبة " فإنها تلجأ إلى الكثير من الأساليب لإغوائه " فقد بالغت في إبراز مفاتن جسدها الذي لم تجرؤ يوماً على إشهاره أمام الآخرين لكن " جبر أبو ركبة " أطفأ ببروده شهوتها المتأججة التي تراجعت وترسبت " [1].

ويتمكن " نزار أبو خنجر " صاحب النوفوتيه الذي تعمل فيه _ بعد فترة من عملها ببيع الحديد_ من اقتحام جسدها بسرعة لا تخطر على باله، " ولجأ في ذلك إلى طريقة غريبة استخدم خلالها لسانه وعينيه واصابعه وانفاسه فبث في روحها وفي يديها موجات من الذهول والمتعة ! عرقي فعل كل هذا : زارها مراراً في بيت والدها " [2] قبل أن يتزوجها.

وترفض " هاجار " دفع ثمن الأرض والرحيل من الوادي مع زوجها بسبب تجذرها وارتباطها بالمجتمع والمكان الذي يعيش فيه، تقول هاجار لزوجها:

" ولدت في الوادي، وبيتنا وشغلي وقبر أمي في
الوادي ، وسبلو أبي والناس الذي أعرفهم كلهم
في الوادي " [3] .

وبذلك تكون " هاجار " النقيض لشخصية زوجها " عرقي " الذي لا يمتلك أي مشاعر طيبة للوادي الذي عاش فيه فهو يتطلع للانعتاق من طبقته ومن مجتمعه الذي تذكره " هاجار"

---

(1) ناجي، جمال،الأعمال الروائية، ص66.

(2) السابق، ص 103 .

(3) نفسه، ص 118.

به عندما يعرض عليها الرحيل، فالوادي يضيق بأحلامه التي أكبر من واقعه ومـن الـوادي وأهله الذين يراهم بأنهم مجلبة للعار بعدما أصبح مطرباً مشهوراً في أحـد فنـادق المدينـة المجهولة اسمها، والسبب الذي يدفع " عرقي " لعدم الرحيل قلقه من " هاجار " بأن تهدم كل ما بناه من شهرة وجاه، ويرافق التحول النفسي تحول جسدي فأصبح يجفـف شـعره ويرتـدي الملابس النظيفة المكوية كما وخفف من وزنه، ولحفاظه على مكانته وشغله لا يحرك سـاكناً عندما يكتشف أن " هاجار " تخونه مع " جبر أبو ركبة " .

أما " جبر أبو ركبة " فيتدرج الكاتب ببناء شخصيته التي تتطور بتطـور الأحـداث، ويبدو " جبر " كما يصفه الراوي بأنه:

" قامته طويلة لكنها متسقة، وجهه أسمر لكن سمرته

غير صاخبة، انفه معقوف بشكل يوحي بالإنسياب،

أما عيناه فسوداوان أو هكذا تبدوان "[(1)]

أصدقاءه بالجامعة ينظرون إليه بأن " **كل شئ عنده محسوب بالمليمترات** "[(2)]. ومن ثـم يظهر التغير المفاجئ على شخصيته عندما قرر الخروج من " **دوائر النظريـات إلـى حيـث المشاركة الفاعلة** "[(3)] إلى جانب سكان الوادي، فبدأ " جبر" فرداً عادياً وانتهى إنساناً إيجابيـاً تتفاعل لديه الذات مع الموضوع فينتمي إلى الجماعة رابطاً بين تحقيق ذاته والنضال من أجل الجماعة، فبعد أن كان ينأى بنفسه عن الناس تراه يهرع ليطمئن الناس ويـدعوهم للتـصدي لمعروف ويرجع بعض هذا التغير على " هاجار" التي أخرجته من انطوائه وحظيت به جسدياً

---

(1) ناجي، جمال،الأعمال الروائية، ص57 .

(2) السابق، ص 57.

(3) نفسه، ص 194.

بعدما ترفع عن كل ما قامت به من اغواءات، وحتى يتمكن منها يوظف زوجها ليخلو بها في بيتها .

ويقدم لنا الراوي العليم " سلمان أبو ركبة " من خلال وصفه الجسدي ، فيقول:

" كان ممتلئ الجسم ذا قامة مديدة،

أما عيناه فمفتوحتان بشكل يدعو

إلى أخذ الحيطة أو الحذر "[1] .

كما يقدم شخصية سلمان من خلال رؤية الآخرين لها بسماتها الشخصية المتمثلة بالقوة والمنعة ، حيث تمتزج الصفات الجسدية (القوة) والسمات الشخصية المُشكَّلة من خلال البعد الأسري والمكان معاً، و لإبراز ملامح تطور الشخصية الفني من خلال تطور الأحداث يقوم "سلمان " باستغلال الناس مادياً في المقهى، ومحل الأدوات الكهربائية، وجاء الموقف السلبي من التبليغ عندما تآمر مع " معروف المعروف " و " نزار أبو خنجر" على السكان، ليعكس موقفه هذا بعده الفكري من ناحية ومكوناته النفسية من ناحية أخرى [2].

كما يقدم لنا الراوي العليم " نزار أبو خنجر " بأنه :

" رجل أسفع البشرة، غليظ الهيئة، وربما القلب

أيضاً، لنزار الزقي وجه حرذوني ورقبة غليظة،

وجسم ممتلئ ضخم "[3] .

ولهذا الوصف ارتباط وتلاؤم مع شخصيته ببعدها الاجرامي وعلاقتها الاجتماعية في سوق الخضار الذي كان يعمل به، وبعلاقته مع أسرته القائمة على القوة، ولقربه من شخصية

---

[1] ناجي، جمال،الأعمال الروائية ص53 .

[2] ينظر، يعقوب، ناصر حسن، التجربة الروائية عند جمال ناجي، ص 93 .

[3] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص 99 .

" سلمان أبو ركبة " يأتي موقفه السلبي من التبليغ فيتآمر معه ومع معروف ضد مصلحة سكان الوادي [1].

لقد أضاء الكاتب من خلال روايته الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وكيف أنه من خلال تعاقب الأجيال على الوادي استطاع سكانه تكوين مدينة مكتظة، ويصور كـذلك كيف أن المكان يمارس سطوته ووقعه على الإنسان ويؤثر به " فالمكان يبدو كما لـو كـان خزاناً حقيقياً للمشاعر والأفكار مملوءاً بالدلالات والرموز حول الشخصية "، مما يؤكد الصلة الوثيقة بين الشخصية والمكان وهذا ما نلحظه بالاسقاطات النفسية على موجـودات المكـان المنعكسة من رؤية الشخصية وحالتها النفسية، فحينما ذهب "سبلو " مع اللصوص كي يغنـي لهم عبر المكان عن الحالة النفسية المضطربة التي تعيشها زوجته " بهاج " وهي تنتظر قدوم زوجها ، يقول الراوي :

" بدت لها الغرفة أصغر من ذي قبل

كما بدا ضوء السراج أكثر وضوحاً "[2] .

وهناك العديد من المظاهر التي تؤكد تأثير المكان بالمجتمع المحيط، فعرقي ينبهر عنـد دخوله الفندق الذي يصبح فيما بعد المساه في كوين شخصيته وبنيته النفسية والفكريـة التـي تدفعه للانسلاخ عن أهله وبلده ، يقول الراوي:

" عبر المداخل العديدة والأدراج الصاعدة الهابطة

والزوايا الملأى بالتماثيل الخشبية والنباتات الداخلية

والمرايا الشاسعة، وكثيراً ما داهمه ذلك الإحساس

---

[1] ينظر، يعقوب، ناصر حسن، التجربة الروائية عند جمال ناجي، ص 94.

[2] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص29-30.

بالإنكماش والتضاؤل " [1]

وهناك العديد من المواقع في الرواية تؤكد التأثير الذي يقوم به المكان على البنى الاجتماعية والثقافية مما يؤكد أن المكان في هذه الرواية هو المحرك الرئيس والمؤثر بحركة الشخصيات.

وبنظرة هادئة إلى رواية " الوشاح الأحمر"[2] للروائي علي الدلاهمة فإننا نقف على العديد من التفاصيل و الدقائق المتعلقة بالغجر و حياتهم، فينقل لنا نظرة الناس إليهم، وأسباب تعالي المجتمع عليهم، و أهم المشاكل التي تواجههم، و ينقل كذلك مهنهم وعاداتهم، وأسباب ترحلهم و انعزالهم عن المجتمع ، ومن هنا تبدو روايته شريحة صادقة لرسم ملامح المجتمع.

تسير الأحداث في " الوشاح الأحمر " ضمن دائرتين : مضارب عشيرة الشيران أولاً والتي تقع إلى الشمال الشرقي من سحاب ، ومخيم الحسين، و جبل القلعة، و صويلح، ثانيا، وتبدو لنا الدائرة الأولى طاردةً بأحداثها ومؤشراتها النفسية والاجتماعية، أما الدائرة الثانية فجاءت موسومة بالحب والعشق على الرغم من نهايتها القاتلة، ويقيم الكاتب روايته في خمسة عشر فصلاً يحاول السير بها في خط واحد، إلا أن الفصول الست الأولى تدور أحداثها بالدائرة الأولى وباقي الفصول بالدائرة الثانية.

تمتلئ الدائرة الأولى بلوحات غنية وصور اجتماعية يندر أن يفلح العمل الروائي في تصويرها بهذه الدقة كوصف العرس الشعبي عند البدو، ومتابعة حركاته من رقص وسباق خيل وتحضير الولائم، وينقل كذلك ردود فعل الناس حول دخول أبنائهم المدارس، ويرسم كذلك صور معبرة عن الأثر الذي يتركه الطمع في النفس البشرية عند غياب الحس الإنساني وضياع الشعور النبيل، وذلك من خلال تقديمه لثلاثة نماذج تركض وراء ثأر مزعوم وهذه

[1] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص 143 .

[2] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر، الناشر وزارة الثقافة " مطابع الدستور "، عمان : الأردن، 1997.

الشخصيات هي: " زويد وابنه برجس ، وعنود ابنة زايد "، وتبدأ أحداث الرواية في آواخر القرن التاسع عشر عندما تسلم " الشيخ خلف " زمام الأمور بعد وفاة والده، الأمر الذي ولّد الضغينة عند أخيه بالتبني " زويد " وخاصةً عندما عرض " خلف " الشيخة على " زايد الأخ الأكبر لزويد " إلا أنه رفض ورضي بأن يكون المستشار (الوزير) له، وتأججت هذه العداوة عندما قُتل " زايد " في أثناء الثورة التي أشعلها الدروز في جبل العرب، فقد كان " زايد والشيخ خلف " يزودان الثوار بالسلاح والعتاد، وفي تلك الليلة التي قتل بها أصر أن يذهب وحده فتعرض له قطاع الطرق وقتلوه الأمر الذي دفع " زويد " اتهام " الشيخ خلف " أنه كان وراء مقتل أخيه ليتفرد بالزعامة ومنذ ذلك الوقت أخذ " زويد " يستخدم أساليبه القذرة التي تضمن له الأخذ بثأره والحصول على السلطة والأملاك، ومن الأوراق الرابحة عنده " عنود " فقد زرع فيها كره الشيخ خلف وعائلته وجعلها متشوقة للثأر لأبيها، فسعت للزواج من ناصر لا حباً به ولكن حباً للإنتقام والثأر وللقضاء على ثروته وأملاكه.

وفي الدائرة الثانية يتكفل " برجس " بالقضاء على " ناصر " العاشق الحيران ، فيضع برجس الخطط التي تنم عن دهائه، فيتعرض لزوجته التي تزوجها سراً؛ لأن زواجه بها مخالف للعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة لدى المجتمع، ولخوف " ريا الغجرية " على سمعة زوجها " ناصر " تهرب حفاظاً على نفسها وشرفها كذلك، ويقع ناصر جراء هروبها بحيرة شديدة تملأ قلبه اللهفة والشغف لرؤيتها، وبعد خروجه من المشفى وضغط والدته عليه يتزوج من " عنود "، ويصاب بالذهول بعدة فترة قصيرة من زواجه بخيانتها له مع " برجس " المأمون جانبه عند " ناصر " فيقتلها ويحكم عليه بالسجن المؤبد ، وبقدوم " ريا " إليه بالسجن يكتشف أنه كان يعيش في مسرحية قذرة هو ضحيتها، ولم يجد ناصر أحد يأخذ بيده غير ريا وابن عمها سعيد الذي عمل المستحيل لفك المبهمة لدى المحكمة .

يلفت الدلاهمة النظر إلى ظاهرة التميز الاجتماعي التي تواجه الغجر ومنها انغــلاق المجتمع أمامهم فيما يتعلق بالزواج حيث أن المجتمع ينظر إلى الغجر على أنهم أدنى طبقــات المجتمع، وعندما يطلق على رجل أو امرأة اسم " غجري، غجرية " فإنه يتــضمن وصــفها بأحقر وصف مما يجعلهم مرفوضين اجتماعياً، إن مزاولة الغجر الحرف الوضعية في نظــر المجتمع وممارستهم لأنماط من السلوك الاجتماعي الشاذ يترتب عليه تعالي المجتمع عليهم إذ لا ينظر إليهم باحترام ، فيصور لنا ردود الفعل حيال زواج " ناصر البــدوي " مــن " ريــا الغجرية " على الرغم من اقتناعه بها كزوجة ومحبوبة إلا أنه واقع في حيرة ، فهو " من جهة قد تعود عليها ولا يصبر على فراقها بل لا يتصور أنه سيعيش من دونها، ومن جهة أخرى لا يستطيع الزواج فهو الآن _ بعد وفاة والده _ شيخ عشيرة الشيران و لو فعلها يجعــل زويــد ورقة رابحة، لا بل كل العشيرة ستجمع على خلعه والتبرؤ منه ... وسيغدو أُضحوكة حتــى من صديقه أحمد "[1] الذي كان رافضاً فكرة زواجه بها في بداية الأمر لأنه كان يعتقد أنهــا غير شريفة لأنها سمحت لناصر بتقبيلها ، ولأن زواجه بها سيلحق العار بأهله ولــو فعلهــا لتحول وذريته لعائلة غجرية:

"إنك ستنجب منها البنين والبنات فهل تجد أحداً بغبائك

يقبل بالزواج من إحداهن . ستضطر حينئذ يا صديقي

إلى تزويجهن من فتيات الغجر.إنك وذريتك ستتحولون

إلى عائلة غجرية شئت أم أبيت فاصحُ!!"[2]

---

[1] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر، ص 158 .

[2] السابق، ص 164 .

أما أم أحمد فإنها ترى أن الغجريات لا يؤمن جانبهن وبأنهن لا يتمتعن بسمعة طيبة و دائماً تلاحقهن الشائعات والأقاويل[1]، وعندما شرح ناصر مشكلته على زميلـــه " المستــشار" على أنها مشكلة قرأها في إحدى المجلات فأجابه بأنه لو كـــان محلـــه لتزوجهـــا لأن حبهـــا وإخلاصها شئ نادر في هذا الزمن، يقول المستشار :

" إننا في هذه الدنيا أشبه بالمسافرين وكل مسافر

يتمنى رفيقاً مخلصاً يهون عليه مشاق رحلة الحياة " [2].

وكثيراً ما كان يصرخ والده في خياله يذكره بأنها غجرية وبأنه برئ منه، ورغم كل ذلك قرر الزواج بها والخروج على عادات المجتمع، فريا بالنسبة له " ملاك إذ لا ينقصها شئ من صفات الملائكة، الجمال الرقة، اللطف ثم الحنان، والعطف والتضحية "[3].

وينتقل " ناصر " بزوجته إلى صويلح حتى لا يتعرض لزيارة مفاجئة من قبل أهلـــه وينكشف أمره، وقد أضاء الكاتب من خلال تصويره للمكان الجديد الاجتماعية والحضارية، فيرجع اختياره لصويلح؛ كونها قرية صغيرة مطلة على جبال جرش وعجلون، و لأنها كمـــا يقول الراوي:

" غالبية قاطنيها من الشركس والشيشان وهؤلاء

القوم ليسوا فضوليين ولن يحشروا أنوفهم في

---

[1] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر ، ص 188 .

[2] السابق، ص 159 .

[3] نفسه، ص 155 .

حياتهما الخاصة، ولن يتساؤلوا عن السر الكامن

من وراء عزوف عن زيارتهما " [1].

يزخر التراث الغجري بالعديد من الأفكار والمعتقدات التي ترسم طبيعة حياتهم وتحدد معالمها المتسمة بالقسوة وعدم الاستقرار فيصور لنا الكاتب قوافل الغجر التي تنتقل من مكان لآخر حول المدن والقرى بهدف ممارسة أنشطتهم وكسب عيشهم ، فيورد تلك الخاطرة التـــي وردت على خيال ناصر عندما كان صبياً مصوراً قافلة من الغجر نصبت " خرابيشهم " عنـــد مضارب عشيرته ، فيقول الراوي:

" هذه القافلة التي حطت في حقل حُصِدَ حديثاً

يقع خلف المضارب حيث نصبوا خرابيشهم

واطلقوا حميرهم لترعى بقايا القمح ، وفي تلك

الليلة قدمت منهم على خيمة والده فرقة فنية

تتألف من راقصين وراقص وطبال وزمار ومغنية.

وهكذا تحول شق الرجال إلى مرقص تتقافز فيه

وتتلوى الفتاتان وهما تغمزان بعيونهما وتفرقعان

باصبعهما التي ألبسنها أقماعاً نحاسية صغيرة

لتكسب الفرقعة رنيناً موسيقياً جميلاً " [2].

---

[1] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر ، ص167.

[2] السابق، ص 151 .

" أما الذي لفت أنظارهم فهو أن النسوة كــنَّ يرتــدين الثيــاب الملونــة ويــدخن الــسجائر كالرجال..."[1]، وفي " صباح اليوم التالي قامت الغجريات بما يشبه الغارة على الحي يبصرن لهذه ويعملن حجاباً لتلك ، يشمن هذي ويلبسن الذهب الفالصو لأسنان هاتيك " [2].

إن اقتصاد الغجر يعتمد في أساسه على حرفة الغناء والحرف اليدوية والتبصير " فالغجر مهرة في كل شئ بالطب و الشعوذة والصياغة فالغجر مفطورون على النبوغ والتفوق في كل شئ" [3].

يعتبر الغجر أنفسهم أسياد العالم وبأن الآخرين فلاحون أجلاف ومن إحدى الثقافــات السائدة لديهم أن الرجل هو سيد الأسرة بالأغلب لا يبحث عمل، فالمرأة عندهم مصدر رزق :

" **... الويل لها إذا لم تحضر المطلوب لزوجها**

وهو زجاجة الخمر وعلبة السجائر هذا بالإضافة

إلى الطعام والحاجيات الأخرى " [4].

إن الزواج بغير الغجر عندهم أمر منكر لذلك يرفض الغجر تزويج بناتهم أحياناً لغير ملتهم والتي تتزوج بغير الغجر قد تتعرض للقتل أو الطرد؛ لذلك كانت ريا تختبئ عن أفــراد قبيلتها الذين كانوا يبحثون عنها عندما أطالت الغيبة عن المضارب، ويكشف لنا الحوار التالي مدى صعوبة الموقف الذي تعيشه ريا:

---

(1) الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر ، ص 151 .

(2) السابق، ص 151 .

(3) نفسه ، ص173 .

(4) نفسه، ص 152.

" ريا: سيقتلونني لو عرفوا الذي حدث

_ ناصر: يقتلونك ؟ تساءل باستخفاف

_ ريا: بدون شك !إنهم سيعتبروني خائنة ... "[1]

ويبين لنا الدلاهمة مصادر ثقافة الغجر ومداها، فناصر المتعلم يظهر جاهلاً أمام ريـــا الأقل منه علماً، وتبدو ريا أكثر وعيا مما يجب أن تكون عليه، فعلى الرغم من ضآلة تعليمها تناقش في أمور يصعب على من بمستواها التعليمي أن يعيها ويفهمها، ويرجع الكاتب ثـــراهم الثقافي إلى كثرة تجوالهم، فيقول ناصر:

" _ ما أجهلني بهؤلاء الغجر ! يبدو أنهم مثقفون .ولم لا ؟

أجزم أنهم أكثر منا ثقافة إن كثرة التجوال تصنع الثقافة وتثري

الخبرة .إنهم أشبه ما يكونون بمراسلي الصحف النشطين الذين

لا ينتظرون أن تأتي إليهم الأحداث بل هم يطيرون إليها، أجل

فإنهم يزودون العربان بأخبار الدنيا، إن ريا هذه تعرف عن

دمشق وبغداد أكثر مما قرأته عنها في الكتب المدرسية "[2].

ومن المظاهر التي تبرز ثقافة الغجر الدينية مثلاً موقف ريا عندما طلب منها اســقاط الجنين، فقد رفضت ذلك بالرغم من حبها العميق لناصر، و انزعجت منه و قالت:

" اسمع أيها المتعلم إنكم تستعلون على الغجر وهم

أكثر منكم إنسانية فهم يقدسون الحياة إلى الحد

الذي يحرمون فيه الإجهاض حتى عندما يكون

---

[1] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر ، ص 179 .

[2] السابق ، ص 177 .

الحمل سفاحاً " [1].

لقد اكتنف الغجر معظم الديانات وفق المكان الذي يعيشون فيه، فإنك تـــرى مـــنهم المسلم والمسيحي والبوذي، حيث أنهم ينتشرون في بلاد كثيرة بدء من الهند موطنهم الأصلي كم يقال، ولكن دينهم الحقيقي هو الحرية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ ودهشة و انطلاق إن الغجر كبقية الشعوب لكنهم يعيشون حالة من " الحرية والانطلاق والاستمتاع بالحياة. أجل إنه شعب ولكن وطنه العالم كله إنهم أغنياء جداً و أذكياء عندما احتلو الدنيا بأسرها وعاشـــوا فيها كما يحلو لهم ضاربين عرض الحائط بكل القوانين والأعراف التي تحد مـــن ســـعادتهم المستمرة"[2].

ومن أهم الأساطير المتعلقة بالغجر أنهم رفضوا إيواء السيد المسيح " عيسى بن مريم " ، وإن سبب ترحلهم وانتقالهم من مكان لآخر ذلك العقاب الذي يواجههم بسبب قيـــام أحـــد أجدادهم بصنع المسامير التي صلب بها السيد المسيح و إن المسمار الرابـــع منهـــا يلاحـــق سلالات الغجر أينما حلوا؛ لذلك لا نجد لهم مستقراً ولا لرحيلهم قرار على أمد التاريخ، و هذه الأسطورة شائعة بين الغجر [3].

إن ما يوحد الروايتين _ و إن انحرفا في تفاصيل الحدث الروائي _ هو اشتراكهما في الحديث عن فئة تعاني من الاضطهاد بكافة أشكاله، كما وتشتركان بـــالبوح عـــن تـــاريخهم ومشكلاتهم وأحلامهم وعاداتهم، فنحن نقرأ عشرات الروايات التي تتحدث عن حيـــاة البـــدو والفلاحين على سبيل المثال، غير أن الغجر يتم اغفالهم ولا نجد أحداً يتعهـــدهم حتـــى بـــين

---

[1] الدلاهمة، علي، الوشاح الأحمر ، ص 184 .

[2] السابق، ص 159 .

[3] نفسه، ص 173 .

السطور فإننا لا نجد أحداً يتعهدهم على جميع المستويات حتى كتب التاريخ التي لا نجد فيهـا مصدراً يزيل تلك الشوائب المتعلقة بتاريخ الغجر.

وبخلاف جمال ناجي يعمد الدلاهمة إلى تصوير الغجر وحياتهم بـصورها النمطيـة المتعارف عليها، ويرى أن الغجر متمسكون بعاداتهم وتقاليدهم، إلا أن جمال ناجي يـرى أن الحياة العصرية قضت على الكثير من مظاهر حياتهم، ويتفقان على أن تكون النماذج الإيجابية من الغجر ونقيضها من المجتمع الآخر، لقد برع الروائيان في رسم الشخوص و الأحـداث، ونجحا في أسر القارئ دون أن يتركا له فرصة للسهو _ ولو لبرهـة _ أو للتغاضـي عـن تفاصيل ذلك العالم المتشابك.

ومن هنا يدور في الذهن العديد من الأسئلة التي تدور حولها الروايتان، هل سيحتضن المجتمع الغجر ويعطيهم الفرصة في الحياة الكريمة؟ هل سـيتعهدهم ويأخـذهم ويطـورهم ويطهرهم، أم سيبقى ينبذهم ويعتبرهم نوعاً أقل مستوى ويترفع حتى من مناقشة قضاياهم؟ هل سيعترف بهم المجتمع كجنس بشري له خصوصيته وتقاليده وأعرافه ونمط حياته؟ هل سيحترم المجتمع رغباته ويعمل على تهذيب غير اللائق منها؟.

الفصل الرابـع

شخصية الرّاعي

ومن الروايات التي تحدثت عن شخصية الراعي، وعكست واقع مجتمعه، وأظهـــرت طبيعة العلاقات بين الناس في القرية، وتفكير أهلها الساذج، رواية آشطيو والتي تعد الشخصية فيها غير منتمية للريف [1].

ونجد أن الراوي هاني أبو انعيم قد جعل من شخصية "آشـــطيو" شخـــصية ومحـــوراً رئيسياً في روايته، "وقناعات توارى خلفها ليدين عالماً لا يتسع للطيبة"[2]، وقد وصف أبو نعيم شخصية آشطيو بأنه شخص قروي" ناضج بالغ، طويل القامة، نحيل البنيـــة، يمتلـــك عينـــين غائرتين، وأنفاً طويلاً، ووجهاً مليئاً بالبثور، وساعدين يرفضان الاقتراب من جنبيه، وملابس قصيرة تجعله يبدو كأنما نما سريعاً فور ارتدائها " [3].

إن امتلاك "آشطيو" لهذه الملامح الخارجية جعل أهل القرية ينبذونـــه، ويظهـــر هـــذا الحوار مدى نبذ القرويين لشخصية آشطيو:

"وهل قليل ما رأى في حياته؟لقد عانى الكثير من الإهانة والمذلة والشقاء..منذ خلقني الله وأنا أعرفه راعٍ يركض وراء الأغنام ولا يهدأ صيفاً ولا شتاءً.ولا أذكر يا أبا سعيد أنني تكلمت وإياه كلمة واحدة طيلة حياتي رغم أنني عرفت متأخراً أنه من أقاربنا،ولا يبعد بيت شقيقه عن بيتنا كثيراً،فقط يقول لي كلما التقيته صدفة أمام البيت حين يكون ماراً بأغنامه،

---

(1) العبادي، عيسى، مضامين الرواية الأردنية ، ص311.

(2) عبد الخالق، غسان، الغاية والأسلوب: دراسات وقراءات نقدية في السرد العربي الحديث في الأردن، أمانة عمان، عمان- الأردن، 2000م، ص50.

(3) أبو انعيم، هاني، آشطيو، عمان، دار غسان للنشر، 1990، ص6.

السلام عليكم" [1].

فأجاب أبو سعيد:

"أنت بغنىً عن سماع صوته....ولكنك تذكريني بأني لم التقه منذ عدة سنوات ولم أرَ وجهه، فقد أراه من بعيد وهو في السهل، وأعرفه من أغنامه الكثيرة وحركاته البهلوانية وهو يهز العصا فوق رؤوسها"[2].

ومن خلال استقراء النصين السابقين نجد مدى ازدراء أهل القرية لشخصية آشــطيو كما ظهر من كلام أبو سعيد، حيث كشف أبو سعيد عن كرهه الدفين "لآشطيو" ونبذه له، فهو لم يقابله منذ سنوات ولم يكلف نفسه إذا رآه من بعيد، عناء التخاطب معه، كما أنه لجأ لتشبيهه بالبهلوان.

إن تأثير الريف على شخصية "آشطيو" الخارجي، تعدى ليؤثر على نفسيته، ونجد أن هذا أمر طبيعي "فسطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيراتها وفعاليتهــا المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات" [3].

وقد أظهر حوار آخر أن ارتباط آشطيو بقريته كان بسبب حبه والتصاقه بأمه الحنون التي أحبته حباً كبيراً، ولكنه عندما فقدها وجدنا أن ارتباطه بالقرية أصبح معدوماً، وهذا النص يظهر ما تحدثنا عنه:

"فقد كان راجعاً إلى البيت كعادته بعد مغيب الشمس لذلك

---

(1) أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص8.

(2) السابق، ص8.

(3) صبري، حافظ،،1979م، الحداثة والتجسيد المكاني، فصول، ج2، ع2، ص72.

اليوم المشئوم، عندما وصل بأغنامه أطراف القرية نقل إليه الأطفال خبر وفاة والدته، وكأنهم دلقوا على جسده النازف من شدة الحر وكثرة الحركة دلواً من الماء البارد،فما كان منه إلا أن أخذ يعدو ويقفز ليتفادى الأغنام والحجارة المتناثرة في الطريق، وتوجه مسرعاً إلى البيت وهو يصرخ بصوته، يما...يما...وصل ساحته وهو لا يزال يصرخ ويبكي وبقي مندفعاً رغم محاولات العديد من النسوة من الوصول على حيث سجي جسد والدته" [1].

إن النص السابق يظهر مدى ارتباط آشطيو بوالدته وحبه لها، كما يظهر أن آشـــطيو كان منصاعاً وراضخاً لأهل القرية، لا يبدي أي اعتراض على كل ما يبدونه من تـــصرفات، حيث يعكس النص التالي نفسيته المنهارة وانصياعه لأهل قريته حين قال:

"وماذا يفيدني لو صرخت وجمعت الناس حولي وقلت بأعلى صوتي (إنني) مثلهم لا أزيد عنهم ولا ينقصني عنهم شيء... بماذا يختلف الوضع لو أقسمت لهم الأيمان الغلاظ، بالله والرسول وعيسى وموسى والديانات الثلاث... ماذا سأجني من ذلك كله سوى أن أجمعهم وأتعرض لسياط عيونهم وهدير قهقهاتهم،وربما لن يتوانى واحد منهم عن أن يلوح

---

[1] أبو انعيم، هاني، آشطيو، ص27.

بيده في الهواء ويهوي بها على وجهي، وقد أتعرض إلى

شتاء لزج وكريه من أفواههم،مالي وذلك كله لقد انتهيت" [1].

" لكن هذه اللغة الراقية والعبارة الفنية لا تليق إطلاقاً بوضع شخصية آشـطيو مـن الناحية الفنية، لأن الراوي يقرر أن آشطيو بهلول، كما وصفه أهل القرية، وكما وصفه هـو بالتالي، فكيف يمتلك بهلول، مثل هذه الأفكار والصور الفنية الجميلة؟ وفي ظنـي لـو ظـل آشطيو يتحدث العامية – وهي في الرواية كثيرة – لوفق الروائي بإقناعه بشخصية آشـطيو، على كل حال فإن هذه القناعة التي توصل إليها آشطيو تشير إلى ظاهرة خطيرة في المجتمع الريفي وأي مجتمع بسيط آخر، ذلك أن الناس بسطاء لا يحـاولون، أو أنهـم لا يـستطيعون المعالجة المبكرة لحالات التخلف والقصور العقلي لدى أي فتى من فتيان القرية، بل إن العكس هو الصحيح تماماً، فهم يزيدون الأمر سوءاً حين يدفعون بهذا المسكين إلـى الإقتنـاع بأنـه مجنون أو قاصر أو متخلف"[2].

وليست رواية آشطيو هي الرواية الوحيدة التي تجسدت فيها شخصية الراعي، فهناك رواية " البكاء على الأطلال " لغالب هلسا، حيث تفتح هذه الرواية حديثها عن الريـف مـن خلال ثنائية الحاضر والماضي، مستخدمة رمزين ماديين، جاعلة منها رموزاً كبيرة تكـشف تصادم الحضارة المادية، بالحضارة الريفية البسيطة الماضية [3].

وفي رواية "آشطيو" فإن بساطة آشطيو وطيبته قد ظهرت، وربما كان دافعه هذا هـو من يأسه من الناس الذين ازدروه وعدّوه بهلولاً درويشاً يشبه أحدب نوتردام، هذا جعل آشطيو يشعر بإحساس فظيع بالظلم، لأنه شعر أنه ليس رجلاً كباقي الرجال.

---

[1] أبو انعيم، هاني، آشطيو، ص11.

[2] العبادي، عيسى،مضامين الرواية الأردنية، ص 313.

[3] االسابق، ص305

كما نجد أن رواية سلطانه لغالب هلسا قد عكست بمجملها واقع الإنسان الريفي البسيط، والذي انتقل من الحياة البسيطة إلى الحياة التي تتسم بالتحضر والرذالة، وقد ظهر هذا جلياً من خلال علاقاته الاجتماعية التي أصبحت نفعية ومحطمة [1].

لذلك فإن معظم الروائيين الذين تناولوا موضوع الأرض والفلاح قد بيّنوا أن الرواية هي وسيلة من وسائل التغيير الاجتماعي، إذ يقول هاني أبو نعيم: "إن الرواية قادرة على تسليط الضوء على جميع السلبيات التي تعاني منها المجتمعات أكثر من أي أداة أو فعل آخر حيث إنه ومن خلالها يستطيع الإنسان "المتلقي" الوقوف مباشرة أمام خفايا النفس البشرية والاطلاع على المنافذ المغلقة والمتشابكة والإجابة عن التساؤلات المزمنة من خلال التحليل الواعي والأمين"[2]، فهو يرى أن الرواية وسيلة مهمة لنقد المجتمع والنفس البشرية، وبالتالي نقد الواقع أي تحليله وفهمه وكشف حقائقه المستترة.

ومما يلاحظ أيضاً على روائيي الأرض والفلاح أنهم لا يكتفون بالرواية بوصفها وسيلة للتعبير وإنما يلجأون إلى أنواع أدبية أخرى للتعبير فمعظم ما كتبوه، يبيّن أن الرواية وسيلة ليست كافية للتعبير.

إن محور رواية " آشطيو " هو الإنسان الفرد، الذي يعيش ضمن بيئة ريفية بسيطة، يرعى أغنامه، ويعيش الحياة بكل بساطتها وعفويتها.

ومن خلال مطالعتنا للرواية نجد أن هاني أبو انعيم قد جعل من شخصيته بطلاً سلبياً، لا بطلاً إيجابياً، حيث كان آشطيو يؤمن بقيم معينة، ولكنه كان دائماً يهرب عندما تصطدم هذه القيم مع واقع مجتمعه لعجزه عن تحقيق ما يؤمن به، ويكون هذا الهروب " إثر مروره

---

(1) حمودة، عبد العزيز، البناء الروائي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص157.

(2) نمران، أميرة، صورة البطل في روايات الأرض والفلاح في الأردن، ص21.

بتجربة قاسية فيتقوقع حول ذاته"[1]، وهنا فإنه لا يحاول أن يجابه الواقع وإنما يهرب منه، كما أنه يلجأ للعزلة والابتعاد عن هذا الواقع، فهذه الشخصية التي أوجدها الروائي تقف عـاجزة، مترددة، وتواجه الإخفاق والأسى والحسرة معللة إخفاقها بسوء الحظ وعناد القـدر... وهـي تعاني من القهر والإحباط والعزلة وتعيش في عالمها الداخلي تجر نفسها وذاتها[2].

ونجد أن الكاتب رواية آشطيو قد هدف من توظيف الشخصية السلبية لآشـطيو إلـى إبراز عيوب المجتمع، ولإظهار العديد من السلبيات التي يعيش المجتمع في ظلها، ونجـد أن الراوي يتعاطف مع هذه الشخصية خاصة عندما يصور هروبها وتقوقعها على نفسها[3].

وهذه الشخصية السلبية ظهرت في روايات عدة كرواية اللوحة ليوسـف الغـزو[4]، ورواية هكذا بدأت طريقي لعقلة حداد[5]، ورواية رائحة التراب لمنصور عمايرة[6].

لقد أبرزت رواية آشطيو طيبة الريفي (الراعي)، حيث ظهر ذلك جلياً في موقف أهل القرية مع هذا الراعي البسيط المظلوم والمقهور، كما صوره الراوي :

"طيب، خذ له باقي إبريق الشاي وصحن طبيخ، ودير بالك عليه"[7].

وتظهر مواقف أهل القرية الطيبة وتكافلهم الاجتماعي من خلال استعداد أبـو سـعيد لتزويج هذا الراعي الطيب الساذج، من عيشة، واستعداده لأخذ حقه من كل من يظلمه، لـذلك

---

[1] نمران، أميرة، صورة البطل في روايات الأرض والفلاح في الأردن، ص21.

[2] عبد الفتاح، عثمان، بناء الرواية: دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت، ص120.

[3] عباس، نصر، الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ، عكاظ للنـشر، الـسعودية، ط1، 1984، ص51.

[4] الغزو، يوسف، اللوحة، منشورات رابطة الكتاب، عمان، 1982.

[5] عقلة حداد، وهكذا بدأت طريقي، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1991.

[6] عمايرة، منصور، رائحة التراب، عمان، ط1، 2002.

[7] أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص69.

فإن ما قام به أبو سعيد هو أن جمع أهل القرية وذلك ليحقق العدالة والانصاف لآشطيو، وقــد تمثل ذلك في النص التالي:

"_ والآن يا وجوه الخير، بقي أن نتحدث عن

حقوقه عند سمعان, حقوقه كثيرة، تعب ثلاثين

سنة ويزيد، وفيك البركة، ونحن لا نعتقد أن أحداً

غير سمعان سيعترض على ما تنوي استخلاصه

منها "[1].

ويتابع أبو سعيد مشروعه هذا باستحضار سمعان ومطالبته بحق آشطيو:

" - اسمع يا سمعان، لا أريد أن أظلم آشطيو بدوري كلنا

نعرف أن له حقاً في البيت،على رغم أن نصيبه منصوص

عليه في التركة، كانت له خشة فقمت بتهديمها، وبنيتم

مكانها هذا البيت،كما يسامحك فيما ادخرتموه من ناتج

الأغنام "[2].

ونجد أيضاً ومن خلال تحليلنا لرواية آشطيو أن هذا البطل وبسبب طيبته وعفويته فإنه كان يطرح السلام دائماً وقد شهد أهل القرية بذلك:

"فقط يقول لي كلما التقيته صدفه أمام البيت حين يكون

---

[1] أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص83.

[2] السابق، ص85.

ماراً بأغنامه: السلام عليكم" [1].

ونجد أن هذا الراعي البسيط كان يبدي استعداده لمساعدة الآخرين، فهذا هو طبعه ودينه، ويظهر ذلك من خلال النص التالي "فهو لا يمانع من تلبية طلباتهم، وإن كان يرى الواحد منهم يستظل بشجرة غير بعيدة عن عينيه فالأغنام ترعى والسهل واسع، ومن يرافق هذا القطيع من الأغنام لا يطيق ذرعاً إذا انضم إليه رأس أو خمسة أخرى" [2].

ونجد أن طيبة آشطيو تتجسد في بيعه لشاة لم يظهر صاحبها ليشتري الدواء لابن امرأة أخيه، والتي لم يكن عندها ثمن الدواء.

وحين تعطيه زوجته بعض القروش وتسأله ماذا يصنع له، يجيب ببساطة الريفي ونقائه وحبه للخير والعطف، يقول آشطيو:

"أحياناً أعطي قرش أو شلن لولد أجده يبكي في الطريق" [3].

إن رواية آشطيو لهاني أبو انعيم كانت نموذجاً للرواية الواقعية النقدية[4]، التي ينقل فيها الراوي حياة الراعي البسيط آشطيو، كما ظهرت هذه الرواية سمات وخصائص عدة مع تركيزها في المجال الأول على شخصية آشطيو الراعي الطيب، ومن هذه السمات والصفات عفويتة حينما عرضت عليه عيشة أن يساعدها، فهو لم يرد من دفعها إلحاق الأذى بها كما ادعت، بل أراد أن يعينها من مشقة عمل يستطيع إنجازه بشكل منفرد [5]، كما ظهرت عفوية آشطيو في ردة فعله وضحكه أمام حنق "عيشة" عليه كلما رأته يتناول طعاماً مما أعدته، فهذه الابتسامة التي كانت ترتسم على وجهه لم تكن غبطة بحنقها عليه، بل كانت لتخيّله بأن هذا

---

[1] أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص11

[2] السابق، ص19.

[3] نفسه، ص5.

[4] عدها ابراهيم خليل تسجيلية ،خليل، إبراهيم، الرواية في ربع قرن (1968-1993)، ص83.

[5] أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص70-71.

الموقف ستتخذه المرأة التي سيتزوجها في المستقبل لحرصها على أن ينال قدراً كافيــاً مــن الطعام لا يشاركه فيه أحد(1).

كما ظهرت في شخصية الراعي آشطيو البراءة، فقد كشف الراوي أن آشطيو ســرق طناجر أحد المنازل وقدورها، وقد استغرب آشطيو في نهايتها بافتضاح أمره، وعلــم "أبــي سعيد" بأنه السارق، ولم يدر أن فقدانه لفردة حذائه في مكان السرقة كان الوسيلة الوحيدة التي استدل بها "أبو سعيد" على حقيقة أم آشطيو (2).

كما أبرزت رواية آشطيو بساطته وسذاجته، حيث ظهر ذلك من خلال تعاملــه مــع الصغار الذين كانوا يلجأون إليه ملفقين الأكاذيب والحكايا، متضرعين متوسلين أن يضم مــا يملكونه من شياه إلى شياهه لترعى معها؛ فهذه البساطة كانت تدفعه دوماً للقبول مــع علمــه بألاعيبهم وأكاذيبهم (3).

كما أن الراوي قد صوّر آشطيو كشخص يعطف على الآخرين، وقد اكتسب آشــطيو العطف من خلال حنوّه على من تنكر لهم المجتمع وظلمهم، كأم مصطفى التي اضطرت بعد وفاة زوجها إلى العمل في الأرض لتعيل أبناءها، فهذه المرأة استحقت بنظر آشطيو أن يسارع إلى إنقاذ حياتها وحياة أطفالها بقتل الأفعى التي تعرضت لهم (4)، واستحقت كذلك أن يبادر

---

(1) أبو انعيم، هاني ، آشطيو، ص70

(2) السابق ، ص22.

(3) نفسه، ص18.

(4) نفسه، ص39.

بمجرد رؤيته لها قرب البئر لمساعدتها في ملء جرتها [1]، وأخيراً استحقت أن يبتعد بأغنامه عن أرضها حتى لا تعيث فيها فساداً وتأكل ثماره [2].

ولكن ما الذي حصل عليه آشطيو الراعي الطيب، العطوف؟ إن ما حصل عليه هـو الاحتقار من الآخرين، لا التقدير، كما هو مفترض، فقد وصفه كبار القوم في القرية بأنه سفيه وأهبل ودرويش ومجنون، حتى أن "سعيد" كان قد سخر منه، ووجد أن مناداته إياه من حظيرة التبن، أمر يحط من قدره ومنزلته، فكيف ينادي راعياً حقيراً يسخر الناس منه في كل مناسبة ومقام [3].

هذا أدى بآشطيو إلى الشعور بالقربة واحتقار كل ما هو جميل وعظيم، وهذا أدى بـه إلى أن يصبح بارداً لا مبالياً أمام أعنف اللحظات وأشدها وقعاً على النفس، كتلك التي أخبـر فيها أن زوجته حبلى[4].

إن ما وصل إليه الراعي آشطيو ما كان إلا نتاجاً للبيئة التـي عـاش فيهـا، والتـي استطاعت أن تقلب الموازين عند آشطيو وإلى إحساسه بالغربة والشعور بالنبذ والظلـم مـن الآخرين، وقد استطاع آشطيو من خلال شخصيته أن يميط اللثام عن تلك العادات التي كـان يعيشها أهل قريته والتي كانت تتصف بالجشع والطمع والحسد والنفعيـة والأنانيـة والغـش والخداع[5]ومن المظاهر التي تبدى فيها الجشع، موقف والد "فلحة" فقد رفض تزويجها، وآثـر

---

[1] أبو انعيم، هاني، آشطيو ، ص51.

[2] السابق، ص49.

[3] نفسه، ص69.

[4] نفسه، ص11.

[5] مرزوق، حلمي ، الرومانتيكية والواقعية في الأدب "الأصول والأيدولوجيا"، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص167، وانظر الرشيد بو شعيرة، الواقعية في أدب يوسف إدريس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1979، ص35.

أن تبقى لديه في المنزل؛ لتخدمه مع شقيقاتها في الزراعة [1]، حتى إذا ما تقدم "أبــو ســعيد" وطلب يدها لآشطيو، أظهر موافقة مشروطة بدفع مائتي دينار" [2].

كما برز الحسد في موقف "عيشة" من "فلحة" عندما عاتبها، وفي أحاديث أهل القريــة من منزل آشطيو، وممتلكاته والنعيم الذي ظهر عليه فجأة" [3].

أما بالنسبة للجوء للغش والخداع فقد ظهر في أكثر من موقف، ومــن ذلــك ادّعــاء "عيشة" رغبتها في تزويج آشطيو ممن يريد، ثم تهديده إن وافق بالويل والعذاب" [4].

كما ظهرت النفعية في أكثر من موقف، ومن ذلك تبدل موقف كل من "عيشة" و"أبــي سعيد" من "آشطيو"، فالمساعدة التي أظهرها تجاهه، لم تكن بهدف فعل الخير وســعياً وراءه، بل كانت خوفاً على السمعة والصيت [5]، وسعياً وراء المنفعة والفائدة [6].

إن رواية آشطيو قد كشفت ومن خلال إبراز شخصية الراعي الطيب آشــطيو عــن قضية خطيرة في المجتمع الريفي الأردني، وهي قضية الجهل والتخلــف الاجتمــاعي، وقــد رسمت هذه الرواية مشاهد كثيرة من هذا الجهل الذي كان يؤدي في معظــم الأحيــان إلــى خلافات ومصادمات بين الفلاحين، إلا أنها ومع ذلك أبرزت العديــد مــن القــضايا الطيبــة كالعطف والطيبة وحب المساعدة وغيره.

إن الشخصية الروائية "آشطيو" ما هي إلا شخصية خيالية لا توجــد إلا فــي قــصة الرواية، وقد جاء بها الراوي لتمثل شريحة اجتماعية ما، وهي مجتمع الريف بكل ما فيه من

---

(1) أبو انعيم، هاني، آشطيو ص59.

(2) السابق، ص90.

(3) نفسه، ص98.

(4) نفسه، ص130.

(5) نفسه، ص94.

(6) نفسه، ص33.

بساطة وتخلف وجهل، وهي العنصر الرئيسي في الرواية الذي يقوم بتطوير الحديث وبنائـــه، وتخضع الشخصية لعلاقة أساسية ببيئتها ومولدها وسلوكها والظروف المحيطة بها [1].

وقد اعتمد الراوي في فهم شخصية آشطيو على الصورة التي التقطها من المجتمـــع، وقد تمكن من رسم الشخصية عن طريق وعيه التام والكامل بالبيئة وتفاعله مع هذه الشخصية، فالشخصية وفقاً لسمر روحي الفيصل تمتلك ما يمتلكه الإنسان في الواقع الخارجي الحقيقي من أسرة وأقارب وعلاقات واسم ونسبة [2].

ونجد أن الكاتب قد اهتم بالمكان بشكل واضح والمقصود هنا الريف، وقـــد ظهـــر أن الراوي كان على قدر كبير من المعرفة الشخصية للمكان المراد، وانطلاقاً من أهميـــة هـــذه المعرفة الواعية والتجربة الشخصية في عالم المكان، فإن هذه المعرفة تـــصبح إحـــدى أهـــم مستلزمات العمل الروائي الناجح، يقول روبرت لويس ستيفنسن: "على الكاتب أن يعرف ريفه إذا كان حقيقياً أو وهمياً مثل يده" [3].

---

(1) الأزدي، سليمان، دراسات في القصة والرواية الأردنية، دار ابن رشيد، عمان، 1985، ص70.

(2) النابلسي، شاكر ، بحث في الرواية الأردنية مقدم إلى ملتقى عمان الثقافي، 1992، ص17.

(3) ستيفنسن، روبرت لويس، عن كتاب، صنعة كتابة الرواية لديانا داو بتفاير ، دار الجاحظ، بغداد، 1981، ص85.

الفصل الخامس

شخصية الفلاح

بما أن الفن الروائي في أحد وجوهه انعكاس وكشف لواقع محدد فإن هذه الإطلالـــة على فن الرواية الذي اتخذ من الريف بيئة له فقد تنبه الروائيون في إطار مهمتهم وفي حدود تماس شخصياتهم مع الواقع إلى شخصية شديدة الواقعية ليست من صنع الخيـــال الروائـــي وإنما من أناس زمنه و هي (شخصية الفلاح) التي تـــشكل النـــسبة العظمـــى مـــن البنيـــة الإجتماعية الأردنية والتي تفرض بدورها على الأديب أن يتوجه لها ويخاطبهـــا ويعـــرض مشاكلها وحياتها وتطور أفرادها " [1].

إن رواية الريف نتاج طبيعي لإحساس الروائي العميق بالانتماء إلى الأرض وإلـــى القرية التي ليست مسرحا للأحدث فقط ولا فضاء روائيا تؤطره الرواية بـــسردها ووصـــفها ولكنه العامل الأساسي والمهم الذي ينبني عليه وجود الفلاح " فالأديب وليد البيئة التي يعيش فيها فصوره وخياله ومشاعره وتراثه الفكري يستمده من واقع المجتمع الذي يعيش فيه ، فهو لا شك متأثر به لكنه يعود ليؤثر فيه بإذاعته ما يكتبه على الناس " [2].

ولنتعرف على شخصية الفلاح لا بد من الإجابة عن سؤالين أولا : ما هـــي طبيعـــة الموضوعات التي رصدها الروائيون في الريف الأردني ؟ ثانيا : ما هي أهـــم الخـــصائص التي يتسم بها المجتمع الريفي ؟ .

بداية ينغي الإشارة إلى أن الموضوعات التي تناولتها روايـــة الريـــف تكـــاد تكـــون متشابهة حيث إن هذه الروايات تحتفل بالنوازع الإنـــسانية والفـــضائل والعـــادات الريفيـــة والصعوبات التي تواجه الفلاح وردة فعله تجاه عدد من القضايا التي تمس واقعه مثل التعليم

---

(1) العفيفي، سناء محمد : صورة الريف في الرواية الأردنية، رسالة ماجستير، الجامعـــة الأردنيـــة، الأردن ـــ2002م عمان، ص 25.

(2) صايف، محمد : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2 ، المؤســـسة الوطنيـــة للكتـــاب، سلـــسلة الدراسات الكبرى، 1984، ص: 372.

والمرأة ...إلخ و عند الوقوف عليها نجد العديد من المشاهد التي يصور فيها الروائيون واقع الفلاح وحياته كما يجد العنصر الاجتماعيّ مبثوثا بشكل كبيــر، ويــصور لنــا الروائيــون الأعراس التي تشهدها القرية الأردنية عقب مواسم جني المحصول، وغمامة الحــزن التــي تلفهم عند انحباس المطر الذي يمثل مع الأرض ثنائية ضرورية جداً ؛ فــلا أرض أو زرع بلا ماء ولا تخفى فاعليته أي الماءــ للناس عامة وللفلاح خاصة حيث أن الجفاف وانحباس المطر يعني عنده الفقر و الجوع لذلك يعتبر الجفاف " **العدو اللدود لكل الفلاحين** " [(1)].

وعندما تحط هذه الكارثة على الفلاحين نراهم يجــرون المراســم الخاصــة بهــا ، فيلجؤون للصلاة [(2)]، وتلجأ نساؤهم إلى طحن التراب في الرحى [(3)]، ويرشقن الماء علــى الأطفال [(4)]، ويرافق ذلك ما ينشدونه من أغانٍ يتوسلون بها عطف الباري قائلين :

يــا الله الغيــث يــا ربــي تــسقي زريعنــا الغربــي

يــا الله الغيــث يــا دايــم تــسقي زريعنــا النــايم[(5)]

ويلاقيهم فوج آخر مرددين :

يــا ربــي لــيش هالغيظــه أكلنــا عــروق الحميــضه

يــا ربــي لــيش هالكنــة أكلنــا طحــين الكرســنة[(6)]

---

(1) غنما، ماجد ذيب: أيام القرية، ط1، المكتبة الوطنية، الأردن ـــــ عمان ، 1994، ص 19.

(2) القسوس فؤاد ، العودة من الشمال ، وزارة الثقافة والشباب ،عمان ،1977 ، ص :60

(3) ينظر ،المصدر السابق ، ص:63

(4) ينظر،نفسه ، ص:64

(5) ينظر: نفسه ، ص:62

(6) ينظر نفسه ، ص: 63.

و في رواية " حكاية قرية و حكاية رجل" ل " محمد الطاهات" يتسبب انحباس المطر في قلة المحصول مما أدى إلى وقوع الفلاحين تحت وطأة المرابين فقد كان والد فريد بالرغم من امتلاكه الكثير من الأراضي فقيراً :

" لم يكن ميسورا بالمعنى الذي يخطر بالأذهان ...

ولكنه كان ــ رغم أملاكه الشاسعة ــ مثقلاً بالديون

يعاني مثلما يعاني أهل قريته مرارة القحط الناشئ

عن انحباس المطر وجفاف الينابيع الصغيرة التي

كانوا يعتمدون عليها في سقاية أجزاء صغيرة

من الأراضي " [1].

وعندما يتأخر سقوط الأمطار يبقى الفلاح متفائلاً أن تجود السماء عليه بالغيث، ففي رواية "أيام القرية " نجد " أم زياد " تحث زوجها بأن يصبر وأن يطرح اليأس من نفسه:

" أما زلت متفائلة يا أم زياد وتتوقعين سقوط الأمطار هذا العام ؟

_إنني زوجة فلاح ولا أقنط من رحمة الله ...حتى ولو لم تسقط

قطرة ولم ترتفع في سماء الحقول سنبلة ... ما علينا إلا الصبر

ونطرح اليأس من أنفسنا.

_ هذه الأرض الطيبة التي تشع في ضوء الشمس فتبدو بلون القهوة

المحروقة ..ردت أم زياد في ثقة - سوف ترتوي فلا تحمل هماً " [2].

---

[1] الطاهات، محمد، حكاية قرية وحكاية رجل، ط1، مطبعة الروزنا، اربد، 2000م، ص: 11.

[2] غنما، ماجد ذيب، أيام القرية ، ص: 24

ومن الصعوبات التي تواجه الفلاحين ويشعرون بالـضعف حيالهـا اقتحـام جبـاة الضرائب القرية الأمر الذي " **يوقع القرويين في حيرة من أمرهم ويضطرهم للجوء إلـى المرابين والاقتراض منهم من أجل توفير الطعام والشراب للجابي لعلهم يفوزون برضاه و بموافقته على تأجيل الضرائب المستحقة ...**"[1].

وتبرز الأرض وملكيتها كقيمة ثابتة عند الفلاحين فهي التي تحدد أقدار الناس ودرجـة تأثيرهم في مجتمع القرية فالأرض هي القوة والشرف :

" **فكان أكثر أهالي القرية يشاركون الشيخ خلف في حبه للأرض وفي رأيه فيها ولم تكن التقاليد في القرية تجيز لصاحب الأرض بيعها أو التصرف بها ..فالمثل يقول: إن من باع أرضه باع عرضه..أما عملهم في الأرض فهو أشبه بالصلاة الصامتة فهم يبذرون الحب في الأرض الطيبة ويروونها بعرقهم ودمائهم قبل أن ترويها السماء** "[2].

" ويكشف ماجد ذيب غنما في روايته " أيام القرية " عن نظام ملكية أدوات الإنتـاج في المجتمع الريفي في أعقاب الحرب العالمية الأولى حيث كانت الأرض مملوكـة للدولـة على الشيوع وكان استثمارها يتم بتوزيعها على سكان القرية الواحدة بالقرعة ،كـل موسـم مقابل دفع الضرائب للدولة ... وهذا الشكل تعبير عن موقف الدولة الإقطاعية التي تحرص على امتلاك كل شئ والحيلولة دون شعور الفلاح بالملكية ... ولهذا تحرمه من امتلاك قطعة

---

(1) غنما، ماجد ذيب، أيام القرية ، ص: 10

(2) السابق، ص 19.

الأرض بعينها لموسمين متتاليين أما في ظل الانتداب البريطانيّ فقد تــم تقــسيم الأراضـــي الزراعية فيما عرف بنظام (ميشيل) البريطانيّ الذي يقوم أساس إجراء القرعة كل خمــس سنوات بين مزارعي القرية الواحدة غير أن هذا النظام انتهى عام 1933م إثر ما يسمى بـــ (افراز موفد)"[1].

يقول بطل أيام القرية:

" إن الحكومة عازمة على قسمة أراضي البلدة بين
الفلاحين للمرة الأخيرة وإزالة الشيوع فيها .هذا العمل
مفيد جداً .. إذ لن تتغير أرضنا ونستبدل بأرض أخرى
كل خمسة أعوام .. بل سيصبح لنا أرض لا تتغير
و لا تتبدل،وسنعرف كيف نقوم بخدمتها والعناية
بها. وسيزداد دخلنا زيادة كبيرة "[2].

وكالعادة في الريف يجتمع رجال القرية يتسامرون في لياليهم ويتحدثون حول همومهم وعن مواسم الخير والجفاف، وتعد دقة المهباش بطاقة دعوة يومية لأهالي القرية من أجــل قضاء وقت جديد يقتلون فيه الملل الذي يسيطر عليهم بأوقات فراغهم ، فالمضافة توفر لهم:

"جلسة طويلة هادئة ويتيح التشاور وتبادل الآراء حول
شؤونهم وقضاياهم اليومية ... إلى جانب فناجين لا حصر
لها من القهوة ودخانٍ بلقاوي ممتاز ونشرة أخبار محلية

---

[1] الأزرعي، سليمان، العبور إلى الحاضرة، وزارة الثقافة ، عمان ـــ الأردن، 2005م، ص: 56 ـــ 57.

[2] غنما، ماجد ذيب، أيام القرية، ص: 16

يومية ...وقد تتيح لهم الفرصة بين حين وآخر لمشاهدة

صلح عشائري أو إجراء قضية عشائرية ..." [1].

إن المجتمع في حركته يحتاج إلى تنظيم يدير حياته وحركاته ويتم ذلك بعيدا عن القوانين الوضعية لتظهر الطقوس والتقاليد الخاصة في هذا الشأن ، ويفضل البدو والفلاحون القضاء العشائري على القانون الوضعي المدني الصارم، تقول الرواية:

" شرب عبده القهوة وهو يبتسم فهو وإن كان قد خسر

القضية فإنه لم يغضب ولم يتأثر..لأنه يحس أن الحكم

حكم المضافة- مهما كان قاسيا فسيظل أفضل بكثير من

حكم يصدر ضده من محاكم الدولة ..فهو يخاف هذه المحاكم

و لا يفهم مشاكلها واجراءاتها "[2].

وللقضوة العشائرية مراسم خاصة بها ، حيث يقوم كل من الطرفين الواحد تلو الآخر أمام القاضي بإدلاء أقوالهم مسبوقة بمقدمة قضائية متعارف عليها:

" .. يا قاضي العرب .. يا فكاك النشب ..جئتك هدي

بهرج قدي ..عن الشوق والبوق والحظ الردي ..

اليوم بين عينيك .. وباكر بين متنيك ..عن اللي

يخفى عليّ وباين عليك ..بجلابات الحليب.. و

نسافات العسيب .. والحامل وما تجيب ..." [3].

---

[1] غنما، ماجد ذيب، أيام القرية ، ص: 11.

[2] السابق، ص 36.

[3] نفسه، ص35.

وقد استطاع الروائيون جذبنا إلى عمق الحياة الخاصة في المجتمع الريفيّ من خلال رصد العادات والتقاليد التي هي المرآة التي تعكس واقع المجتمع وما يعانيه من بؤس وشقاء أو رفاهية وسعادة، ومن العادات الإيجابية في الريف الأردني إكرام الضيف [1]، والـــشجاعة والصدق [2]، وهم كذلك لا يتوانون عن تقديم المساعدة لمن يحتاجها فنجدهم يهبـــون لنجـــدة بعضهم بشكل جماعي عند وقوع الفرد في ضائقة ما:

" لم يبق ممن سمع صوت الانهيار دون أن يخرج

لعله يستطيع المعونة،واشترك الجميع في إدخال

الشياه إلى خان عساف " [3].

وتصور لنا رواية " حكاية قرية وحكاية رجل " التقاليد المتبعة عند فلاحي القريـــة بالأعراس والمناسبات التي تتسم بالبساطة والبعد عن التعقيد الموجود في المدينة حيـــث إن الفلاح لا يعلق أهمية بالغة على الكماليات، التي تصبح في المدينة بمرتبـــة الـــضروريات، فتعقد الدبكات والرقصات والحداء والولائم تعبيراً عن فرحتهم الجماعية:

" زخر منزل سمعان والساحة الواسعة خارجه بمظاهر

الفرح الكامل ...ذبحت الذبائح واشتعلت النيران ...سرى

الحماس إلى النفوس فاصطف الشباب في حلقة واسعة

وراحوا يهزجون...ثم بلغ بهم الحماس مبلغا عظيماً فراحوا

يدبكون على أنغام الشبابة ...كانت النساء قد تجمعن في

زاويةٍ قريبة ورحن يغنين ويزغردن ...ويخصصن بأغانيهن

---

[1] غنما، ماجد ذيب، أيام القرية ، ص 40،41، وينظر، القسوس، فؤاد، العودة من الشمال، ص50.

[2] القسوس، فؤاد، العودة من الشمال ،ص:177

[3] السابق، ص 48.

الرجال الذين يبذلون جهداً كبيراً في الحداء أو الدبكة أو السحجة ...ليزداد حماساً وعطاء" [1].

ومن العادات السيئة التي توقف عندها فؤاد قسوس في روايته " العودة من الـــشمال " الثأر الذي طغى بالمجتمع الأردني حتى أصبح ضرورة لا بد منها ، وترافق هذه العادة عادة إيجابية ألا وهي حماية الدخيل والمحافظة عليه من الاعتداء، التي كانت هـــي الـــسبب فـــي حضور مرزوق في الرواية، وذلك عندما التجأ إلى عساف هاربا من الثأر وبدوره قام الشيخ عساف باخفاء شخصيته وقصته عن أهل القرية حتى لا يتعرض للقتل لأن حمايتـــه واجـــب وشرف عظيم:

" نظر عساف إلى سقف الحجرة متجنباً نظرات مرزوق الحزينة المتسائلة، ولم يدرِ يطمئنه أو يعزيه،فالثأر في رأي عساف حق، ولأهل القتيل الحق كل الحق في قتل القاتل أو أحد أقاربه، كما أن حماية الهارب والمستجير شرف لا يدانيه شرف"[2].

وعندما قال مرزوق متسائلا :

" ما ذنبي أنا ؟ " لم يتساءل عساف كما تساءل مرزوق ... وكاد أن يقول له : ألست أخاه ؟ ولكنه أحجم ... ونظر إلى سقف الحجرة أملاً أن يتغير الحديث " [3].

---

[1] الطاهات، محمد، حكاية قرية وحكاية رجل، ص 141ـــ142.

[2] القسوس، فؤاد، العودة من الشمال، ص 94.

[3] السابق، ص 94.

وتثير رواية " حكاية قرية وحكاية رجل " قضية التخلف الذي تعـاني منـه القرية من خلال تصويرها لكفاح معلم ــ ذلك الشاب الطموح عمـر الـذي التحـق بالأزهر لإتمام تعليمه ــ عند عودته محاولا النهوض بقريته من التخلف الذي تعاني منه إلى مراتب العلم والدراسة ونبذ التخلف والجهل المطبقين إلا أن " عمـر " يجـد العديد من العقبات والمعارضة من قبل فلاحي القرية [1] فهم يرون أن التعليم:

" حرام وهو الذي يفسد الجيل ويحولهم من مسلمين إلى شيوعيين وبه يصبحون يرتدون القميص والبنطال بدل السروال والقمباز وينزعون الحطة والعقال ويربون شعورهم وهذا هو الإثم الذي ليس بعده إثم "[2].

ولكن عمر لم يستسلم لهم وينجح بإقناعهم بفكرة افتتاح المدرسة عندما أعلـن عـن تبرعه ببيته ليكون مدرسة لأبناء القرية وبدون مقابل.

وانطلاقاً من ضرورة تعليم المرأة كونها عنصراً مهما في المجتمع انتبـه " عمـر " لضرورة فتح مدرسة للبنات، ويصر على الدعوة لتعليمها بالرغم من المعارضة الشديدة التي واجهها فالمرأة عندهم:

" عورة وخلقت للبيت والزوج وللأولاد،فلا عمل لها غير ذلك، ومن هذا المنطلق فهي ليست بحاجة إلى التعليم، وليست بحاجة لأن تعرض نفسها للقيل والقال وهي ليست بحاجة لأن تخدش عالمها وتدنس حياءها، وهي من جهة

---

[1] نمران، أميرة، صورة البطل في روايات الأرض والفلاح في الأردن، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت ــــ المفرق، 2004.

[2] الطاهات، محمد، حكاية قرية وحكاية رجل، ص16.

أخرى أسرع للفساد وأضعف من التحدي، وبخاصة إ ذا

عرفت الحرف وقرأت الكتب الفاسدة التي تفسد الذوق

والأخلاق " [1].

ونجح تعليم المرأة في تغيير النظرة السائدة عندهم فسهلّ تعليمها الطريق لِتُكون ذاتاً خاصاً بها مستقلة عن الرجل ومساندةً له بنفس الوقت، " فها هي المرأة تأخذ مواضع أكثر فاعلية لتغدو مساعدة الرجل في نضاله أو رفيقة دربه وكفاحه وتجهز له أعماله وقد وصلت استقلالية المرأة درجة جعلتها في بعض الأحيان تنفصل عن الرجل لتشكل لنفسها تياراً مكافحا قوامه المرأة " [2].

فالمرأة الأردنية في أوائل العشرينيات وحتى أوآخر الخمسينيات لم تحظَ بمكانة اجتماعية متميزة، فقد كانت ممتهنة ولا توازي مكانتها مكانة الرجل، فالمرأة بتلك الحقبة تابعة للرجل ولا تتقدم عليه ومن أبرز خصائص هذا المجتمع " أنه مجتمع رجال يتميز فيه الرجل عن المرأة ويحتل مكانة أعلى منها، وهذا التميز ظلّ واضحاً في جميع الممارسات الحياتية سواء في البيت أو في العمل حيث كان الرجل يتمتع بالسّلطة والكلمة المسموعة ويمارس حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل حرية، في حين أنّ المرأة الأردنية لم تكن تمتلك من الحقوق إلا بالحدود التي يبيحها لها الرجل سواء كان أباً أو أخاً أو زوجاً .فمهمتها الرئيسية انجاب الأطفال وتكوين الأسرة وخدمتها"[3].

ومن خلال النظرة السائدة حول المرأة تتضح لنا الفكرة السائدة حول التمييز بين الجنسين، فالفلاح حين يمتلك المرأة كزوجة يرمي إلى تلك العلاقة المثمرة التي تثبت بشكل

---

[1] الطاهات، محمد، حكاية قرية وحكاية رجل ، ص 85 ــ 86.

[2] العفيفي، سناء، صورة الريف في الرواية الأردنية، ص 66.

[3] المرأة الأردنية، صادر عن دائرة المطبوعات والنشر بالتعاون مع دائرة شؤون المرأة،،1979، ص 14.

أو بآخر فحولته وقوته ومن ثم ذاته، وتحقق له كيانه بإنجابها الأبناء الذكور؛ فالأولاد يعيشون في العلن وينتمون إلى والدٍ يحملون اسمه، ويحققون ذاته، ويعدون كذلك امتدادا لشخصيته حيث إن السيرة أطول من العمر كما تقول الأمثال الشعبية في بيئة الفلاح؛ لذلك يصر الفلاح على أن تربية الأبناء الذكور هي من اختصاصه، ومهمة المرأة انجابهم وغمرهم بحنانها وعطفها دون التأثير على تكوينهم الشخصي الذي لا بد أن يكون امتداداً لشخصية أبيه:

" أم سلمان لم تعطِ لأبنائها سوى حنانها ومحبتها،

وما دون ذلك لم يكن لها فيه أثر يذكر على الأقل

في حياة ولديها سلمان وجبر، كان هذا مبعث ارتياح

"أبو سلمان " الذي أراد لأبنائه تربية الرجال لا تربية

النساء، وكان مصراً على أن تخرج " أم سلمان "عن

حدودها كامرأة في بيته ! "[1].

وتظل المرأة الريفية" مقتنعة بما رسم لها من دور، فتقوم بأعمال بيتها بكل حب ومسؤولية، وتمنح زوجها الراحة والطاعة والاحترام "[2]إذ إن قيام المرأة بأعمال الزراعة ورعاية الأغنام لا يعفيها من مهامها الأخرى تجاه البيت والزوج، فعودة الزوج إلى البيت " **تثير زوبعة تحملها وتنقلها من مكان لآخر في أرجاء البيت وساحته،إذ عليها أن تلبي احتياجاته دون أن يطلب شيئاً، فهي عشرة عمر،اعتادت خلالها، شاءت أم أبت،على القبول**

---

[1] ناجي، جمال، مخلفات الزوابع الأخيرة، ص .58

[2] العبادي، عيسى، مضامين الرواية الأردنية، ص314.

بدورها، وتنفيذ واجباتها،وتحمل مسؤولياتها،والتي يتركز جانب كبير منها علـــى خدمتــه والامتثال لأوامره، وتنفيذ تعليماته أولاً بأول " [1].

وفي رواية " وجه الزمان " تدافع المرأة عن القيم الموجهة ضدها التي تنتقص منها ومن حقها بالمساواة مع الرجل فـ"فاطمة "تبرر زواج الرجل طلبا للمزيد من الأبناء الذكور :

" قالت فاطمة :يا ابنتي لا أحد يغضب من شرع الله .

والدك يريد أولاد يخلفونه بالدنيا، معه حق .. وأمك

موافقه، لا تغضبي ، وهل أبوك أول رجل يتزوج

على زوجته ؟ "[2].

إن المرأة الريفية تخضع " لمنطق الأولويات كما هو الأمر في سائر الملكيات، فابن العم أولى بابنة عمه وأحق، فإذا خرجت عن تلك القيمة، كان عقابها الموت "[3]:

" وهو بين وقت وآخر يذكر بزهو قصة تلك الفتاة التي

سمعها عن والدته. فتاة من الديرة أحبها رجل من عشيرة

أخرى، فبادلته الحب. وعندما وقف ابن عمها في طريق

زواجهما، أقدم حبيبها على اختطافها والهرب بها إلى

منطقة أخرى ...وهكذا لم يغمض رمش لوالد الفتاة وابن

عمها.. إلى أن عثرا عليها أخيراً،فأقدما على قتلها و

زوجها، وعادا برأسيهما إلى الديرة .. وضعوهما على

رؤوس الرماح؛لترى النساء ،وليتعلم الرجال بأن ابنة

---

[1] أبو انعيم،هاني، اشطيو، ص 5.

[2] العدوان، طاهر، وجه الزمان، مطبعة السفير، الناشر وزارة الثقافة،عمان، الأردن ،ص76.

[3] الأزرعي، سليمان، العبور إلى الحاضرة، ص 196.

العم هي لابن عمها "[1].

ويحمل الفلاح المرأة ذنباً ليس لها فيه ذنب أو مسؤولية ألا وهو عدم إنجاب الذكور، فنجد فهد الرشيد في رواية " شجرة الفهود " لسميحة خريس يهدد زوجته إذا لم تنجب له ذكراً :

" اسمعي يا بنت الناس ... بدي ولد ...

ولد وإلا روحي على أهلك " [2].

ولتفضيل الذكر على الأنثى العديد من الأسباب أهمها أن الفلاح يرى أن الذكور عزوة له في حياته في حين أن البنت تعيش بحكم البيئة في الظل ولا تعد امتداداً لأبيها لذلك تحرم الفتاة من الإرث وخاصة إذا تزوجت، فهذا " أسعد " في رواية " شجرة الفهود " يصرخ في وجه " سلمى ويجهض فرحتها بإرثها :

" البنات ما إلهن، هذا شرط الجدّة.وأنا مني وعليّ

أختي سلمى بعيوني وأرضها أمانة عندي بس يوم

اللي تتزوج بيه تتنازل عن كل شئ ""[3].

زخرت رواية أيام القرية بمقاطع من الأغاني الشعبية والأمثال والحوادث المثيرة والحكايات التراثية نظراً لما تحققه من اثارة القارئ وتشويقه ،فمن الحكايات الشعبية التي رصدتها الرواية ، حكاية شلاش وسعدا التي جاء بها :

" شلاش فارس قبيلة وعقيدها .. اتقى بفتاة حناء " سعدا "

فتاة من احدى القبائل المعادية .. فأحبها وأحبته دون أن

---

[1] العدوان، طاهر، وجه الزمان،ص84،85.

[2] خريس، سميحة، شجرة الفهود، تقاسيم الحياة، ط1، دار الكرمل،عمان، 1995، ص 20.

[3] السابق، ص125.

يتعارفا .. تباريا في لعبة الشطرنج بعد أن اتفقا على أن

للفائز أن يفرض ما يريد على المغلوب .. وكان شلاش

يفوز باستمرار .. وكان يطلب في كل مرة من سعدا أن

تحل زراً من أزرار قميصها.. إلى أن ظهر أثر من صدرها ..."[1].

ومن الأغاني الشعبية التي ورد مقاطع منها : هي هي يـا بـو قـرون مجـدولات ،وأغنية (نامت عيون الناس ..وعين الله ما نامت .. وما عمر شده يا ابني .. على مخلـوق دامت)، وأغنية والبارحة يا عقاب حين القمر غاب ، ومن الأمثال الواردة في الرواية (أكل الدهر عليها وشرب)، (كمن يستجير من الرمضاء بالنار) .

لقد عمدت الروايات المدروسة المنهج الواقعي في تصويرها الريف كنقطة مركزيـة شكل فيها الريف الأردني الميدان الأساسي لها ، فصرحت الروايات بأسماء الأمـاكن فيهـا ووصفتها وصفا واقعيا، ودرست العديد من النواحي الحياتية بخاصة النـواحي الاجتماعيـة والنفسية و الاقتصادية وقد وفقت هذه الروايات في نقل البيئة الريفية التي نهلت منها المشاهد والمفردات الشعبية التي لها عامل كبير في تقديم صورة واقعية تعبر بـصدق وأمانـة عـن خصائص الشخصيات الفلاحية .

[1] غنما، ماجد ذيب، أيام القرية، ص 12.

الخاتمة

إن المجتمع الأردني القريب من ستة ملايين من السكان يحتوي على نسب مختلفة من أردنيين من منابت مختلفة ، وسعت هذه الدراسة للكشف عن هذه الشرائح التي يتـــألف منهـــا الأردن من خلال الأعمال الروائية، حيث إن الرواية الأردنية عكست بعد هزيمة حزيران كل وجوه الحياة الاجتماعية، وانعكس فيها جماليات المكان وقيمه الاجتماعية، و مشكلات الفقـــر والبطالة وقضايا التحرر والديمقراطية .

ومن هنا فإن الروايات المدروسة كشفت الستار عن واقع حياة الشرائح التي يتألف منها المجتمع ،ناقلة صورة حية من عاداتهم، وتقاليـــدهم، وتـــصوراتهم، ومـــشاعرهم،وأفكارهم، وتطلعاتهم، وقد استطاع الروائيون أن يفردوا لكل شريحة خصائصها التي تميزها عن غيرها، ورصدوا طبيعة العلاقات التي تميز الشخصيات داخل بيئتها وما يجاورها من بيئات .

ولإكساب النصوص الروائية صبغة محلية جاء اعتناء الروائيين بالمكان الذي تدور فيه الأحداث، فأسقطوا عليه مشكلات الواقع وقضاياه، ولا يخفى الأثر الذي يتركه المكـــان علـــى مشاعر الشخصية ونفسيتها كما هو عند "عليا" في رواية القرمية وعند "فتحية " فـــي الكنـــزة الخضراء، و"منير الكسار" في رواية وقت وعند آشطيو .

وحاولت الدراسة أن تسلط الأضواء على السمات الايجابية والسلبية بهـــدف إبـــراز الايجابيات وتعزيزها، لما لذلك من آثار على المجتمع ككل، وبهدف تجاوز السمات الـــسلبية ونبذها والتقليل من تأثيراتها الضارة على المجتمع .

قائمة المصادر والمراجع

أ ــ المصادر

- أبو انعيم، هاني، 1990م، **آشطيو**، عمان، دار غسان للنشر.
- الأزرعي ، موسى ،1998م، **ذيب الصالح**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـــــ ساقية الجنزير.
- خريس، سميحة،2008م، **الأعمال الكاملة (الجزء الثاني)**، الأردنية للنشر والتوزيع .
- خريس، سميحة،1995م، **شجرة الفهود**، تقاسيم الحياة، دار الكرمل، عمان.
- الدلاهمة، علي،1997م، **الوشاح الأحمر** ، الناشر وزارة الثقافة " مطابع الدستور "، عمان : الأردن.
- الطاهات، محمد،2000م، **حكاية قرية وحكاية رجل**، ط1، مطبعة الروزنا، اربد.
- العدوان، طاهر، **وجه الزمان**، مطبعة السفير، الناشر وزارة الثقافة،عمان، الأردن.
- عقلة حداد،1991م، **وهكذا بدأت طريقي**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
- عمايرة، منصور، 2002م،**رائحة التراب**، عمان، ط1،.
- الغزو، يوسف،1982م، **اللوحة**، منشورات رابطة الكتاب، عمان.
- غنما، ماجد ذيب،،1994م،**أيام القرية**، ط1، المكتبة الوطنية، الأردن ـــــ عمان.
- القسوس فؤاد، 1977م، **العودة من الشمال** ، وزارة الثقافة والشباب ،عمان .
- القواسمه، محمد عبدالله،1971م، **الكنزة الخضراء**، دار الطباعة والنشر، عمان .
- ناجي، جمال، 1988م، **مخلفات الزوابع الأخيرة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان: بيروت.
- ناجي، جمال،1984م، **وقت**، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان .

- **ناجي، جمال،2003م، <u>الأعمال الروائية</u>، وزارة الثقافة، عمان.**

ب ـــ المراجع

- ابف تاديه، جان،1998م، **<u>الرواية في القرن العشرين</u>** ،ت. البقاعي، محمد خير، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الأزدي، سليمان،1985م، **<u>دراسات في القصة والرواية الأردنية</u>**، دار ابن رشيد، عمان.
- الأزرعي، سليمان،1997م، **<u>الرواية الجديدة في الأردن</u>**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، توزيع دار الفارس للنشر والتوزيع .
- الأزرعي ، سليمان،2002م، **<u>فلسطين في الرواية الأردنية</u>**، من اصدارات اللجنة الوطنية العليا لاعلان عمان عاصمة للثقافة العربية .
- الأزرعي، سليمان،2005م، **<u>العبور إلى الحاضرة</u>**، وزارة الثقافة، عمان ـــ الأردن.
- اسماعيل، غسان ،1993م، **<u>الزمان المكان، النص</u>** ((اتجاهات الرواية العربية المعاصرة في الأردن))، دار الينابيع، عمان .
- باختين، ميخائيل،1987م، **<u>الخطاب الروائي</u>**،ت. برادة، محمد، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، باريس.
- باختين، ميخائيل،1986م، **<u>شعرية ديستوفيسكي</u>** ، ت. التكريني، جميل نصيف، دار توبفال للنشر، بغداد، الدار البيضاء، ط3.
- بحراوي، حسن،1990م، **<u>بنية الشكل الروائي</u>**،الناشر المركز الثقافي العربي،بيروت.

- بكراد، سعيد، **سيمولوجية الشخصيات الروائية** (رواية الشراع والعاصفة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- حداد، نبيل،2003م، **الكتابة بأوجاع الحاضر**، منشورات أمانة عمان، الأردن: عمان.
- الخطيب , عمر عوده،1984م، **لمحات في الثقافة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة ،بيروت.
- حمودة، عبد العزيز،1977م، **البناء الروائي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،.
- خليل، ابراهيم1994م، **الرواية في الأردن في ربع قرن(1968-1993)**، دار الكرمل، عمان.
- زيتوني، لطيف،2002م ، **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مكتبة لبنان، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان.
- سماحة،فريال، 1999م، **الشخصية في روايات حنا مينا** ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- الساعاتي ،سامية حسن،1983م،**الثقافة والشخصية** ،بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية ،بيروت .
- الصالح، نضال، 2005م، **سميحة خريس قراءات في التجربه الروائية**، الناشر أمانة عمان، عمان: الأردن.
- ستيفنسن، روبرت لويس،1981 م، **صنعة كتابة الرواية لديانا داو بتفاير** ، دار الجاحظ، بغداد.
- صايف، محمد ،1984م، **النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي**، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، سلسلة الدراسات الكبرى.

- عباس، نصر،1984م، **<u>الشخصية وأثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفــوظ،</u>** عكاظ للنشر، السعودية.
- العبادي، عيسى، 2005م،**<u>مضامين الرواية الأردنيـــة(1967-1990)،</u>**دار جريــر للنشر،عمان.
- عبدالوهاب، شريف عبد المنعم، **<u>المجتمع المصري فـــي الروايـــة مـــن (1976 – 1994)</u>**، دراسة في علم اجتماع الرواية.
- عبد الخالق، غسان، **<u>الغاية والأسلوب</u>**،2001م،دراسات وقراءات نقدية فـــي الـــسرد العربي الحديث في الأردن، أمانة عمان، عمان-الأردن.
- عبد الفتاح، عثمان، **<u>بناء الرواية: دراسة في الرواية المـــصرية</u>**، مكتبـــة الـــشباب، القاهرة.
- عثمان، عبد الفتاح ،1982م، **<u>بناء الرواية</u>**، ط1، دار العودة، بيروت.
- عشقي، أنور ماجد، 1415هـــ، **<u>الإسلام ومقتضيات العصر</u>**، مكتبة التوبة، الرياض.
- عطية ، محمد أحمد،1980م ، **<u>الرواية السياسية(دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، الناشر</u>**: مكتبة مدبولى ، القاهرة.
- عطيات، محمد، 1981، القصة **<u>الطويلة في الأدب الأردني منذ بدء الإمارة(1921 – 1977)</u>**، منشورات دار الثقافة والفنون ، عمان.
- عليان، حسن،2000م، **<u>تجليات الحداثة في الرواية العربية في الأردن</u>**، ضمن أوراق المؤتمر العلمي الخامس لكلية الآداب والفنون، بعنوان **<u>((الحداثة وما بعد الحداثـــة))</u>** تحرير: صالح أبو إصبع وآخرون، جامعة فيلادلفيا، عمان .

- القاسم، نبيه ، 2005م،**الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف**، دار الهـدى للطباعة والنشر.
- قطامي، سمير: 1998م،**الحركة الأدبية في الأردن (1948-1967)**، وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان.
- الكبيسي، طراد،2000م، **قراءة نصية في روايات أردنية**، منشورات أمانة عمان الكبرى، مطابع الدستور التجارية، عمان .
- الكركي، خالد ، 1986م ، **الرواية في الأردن** ،نشر بدعم من الجامعة الأردنية، عمان .
- ماضي، شكري عزيز ،1996م، **فنون النثر العربي الحديث**، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
- ماضي، شكري و أبو الشعر، هند ،**الرواية في الأردن**،2001م، منشورات جامعة آل البيت .
- ماضي، شكري ،1978م، **انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، 1978.
- ماضي، شكري وآخرون، ملتقى الرواية في الأردن، منشورات جامعة آل البيت 2001م .
- مرزوق، حلمي ،1983م، **الرومانتيكية والواقعية في الأدب "الأصول والأيدولوجيا"**، دار النهضة العربية، بيروت.
- مالكم، براديري وجيمس، ما ك فارلات: **الحداثة**، ترجمة مؤيد حسن فوزي، دار المأمون ـ بغداد ،1987، ج1.

- الملقي ،هيام ،1995م، **<u>ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري</u>**، دار أشـــواق للنـــشر والتوزيع، الرياض.
- همفري، روبرت ،2000م، **<u>تيار الوعي في الرواية الحديثة</u>**، ت:- الربيعي، محمود، دار الغريب، القاهرة .
- **<u>الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية</u>** ((أوراق ملتقى عمان الثقـــافي الأول))،مجموعة من الكتاب ،منشورات وزارة الثقافة ، دار أزمنة، عمان .
- **<u>المرأة الأردنية</u>**، 1979م ، صادر عن دائرة المطبوعات والنشر بالتعاون مع دائـــرة شؤون المرأة .

الرسائل الجامعية

- بو شعيرة ، الرشيد ،1979م، **<u>الواقعية في أدب يوسف إدريس</u>**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق.
- الذنيبات، رانيا،2002م، **<u>بناء السرد في الرواية الأردنية (1994-2000)</u>**، رســـالة ماجستير، جامعة مؤته .
- سوالمه، ردينة أحمد حسن،2001م، **<u>صورة المثقف في الرواية في الأردن في العقد الأخير من القرن العشرين</u>**، رسالة ماجستير، – جامعة آل البيت.
- العفيفي، سناء محمد ،2002م، **<u>صورة الريف في الرواية الأردنية</u>**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن ــ عمان،
- نمران، أميرة، 2004م، **<u>صورة البطل في روايات الأرض والفلاح في الأردن</u>**، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت ـــــــ المفرق.

- يعقوب، ناصر حسن عيد،1992م، **التجربة الروائية عند جمال ناجي** ،رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

الدوريات

- بزيكا،محمد، 1982م،:**مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي**، مجلة آفاق، صادر عن اتحاد كتاب المغرب، السلسلة الجديدة، ع9، يناير .
- حداد ، نبيل ، 1990م ، **الرواية في الأردن في الثمانينات** ، أبحاث اليرموك " سلسلة الآداب واللغويات " ، م7،ع2.
- رضوان، عبد الله، 1985م، **في الرواية الأردنية ملامح واتجاهات**، م. أفكار، ع (76).
- الشيخ، خليل،1990م، **عن الرواية في الأردن وموقعها في مسير الرواية العربية**، مجلة أفكار، ع 95.
- صبري، حافظ،،1979م، **الحداثة والتجسيد المكاني**، فصول، ج2، ع2.
- فخري صالح،2001م، **رواية التسعينات في الأردن**، م أفكار، عدد 150،
- عصفور، جابر،1993م زمن الرواية – المفتتح، مجلة فصول، القاهرة، مج 11، العدد 4.
- الكبيسي، طراد،2000م، **مزج التخيل الأسطوري بالواقع التاريخي**، مجلة عمان ،العدد 52.
- مرتاض، عبدالملك،1988م، **في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة** ، العدد (240)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت.

- النابلسي، شاكر،1992م ، **بحث في الرواية الأردنية** مقدم إلى ملتقى عمان الثقافي .

رابعاً : المواقع الالكترونية

- الموقع الالكتروني لـــ وكالـــة الامـــم المتحـــدة للاجئـــين الفلـــسطينين، الاونـــروا، www.unrwa.org/atemplate.php?id=55 .
- المخيمات الفلسطينية بين حلم التصفية وحلم العودة، دراسة من إعداد قـــسم الأبحـــاث والدراســـات تجمـــع العـــودة الفلـــسطيني واجـــب ص30 نـــسخة الكترونيـــة www.najah.edu/file/centers/apsim/paletinian-comps.doc. .
- http://www.awa-dam.org/alesbouh%20802/826/isb826-isb826-024.htm.

Abstract

The folk character in the Jordanian 's novel

Prepared by

Kareem Ali Shawabka

Supervisor

Dr . Essa Al . Abadi

This study strive to investigate in analysis of the folk characters in the Jordanian 's novel and studies the characters socially because the Jordanian 's novel reflects all points of view of the social lift to achieve the purposes of the study . It deals with focuses on the human's type because it is the gist of the social life .

Through this study , we can recognize the elements of the novel and it discussed many historical periods of the novel . The study consists of five chapters with beginning and conclusion followed by a list of each chapter of this study discussed an issue. The first chapter discussed the folk character with it's cultural limits .

The second chapter talks about life in the camp and it included a study the history of Palestinians' camp .

Then the third chapter with it's title " The gypsy character " it studies inhabits, traditions and how they deal with other people .

The forth chapter studies the shepherd's character through studying " Ashtio " novel and analyzed the character of the hero .

The fifth chapter analysed characters socially and physically. Finally the conclusion showed the most important results of this study.